المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة التفسير

٩٩

٢٤٤/٢٣٣٩

مقدمة
تحقيق تفسير أبي المظفر السمعاني
وتحتوي دراسة عن
اتجاهات التفسير في عصره

إعداد
فاروق حسين محمد أمين

لنيل شهادة العالمية العالية "الدكتوراة"

إشراف
الدكتور / عبد العزيز الدردير

١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م

شکر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فاني أشكر الله تبارك وتعالى على أنعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، وأشكر الجامعة الاسلامية وعلى رأسها الدكتور / عبد الله صالح العبيد على تيسيرها سبل العلم النافع ، ولحرصها على تذليل صعابه . وأشكر قسم الدراسات العليا ، والقائمين عليه ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ /عبد الله الغنيمان بارك الله فيه وأمد في عمره ، وأشكر كل الذين عاونوني على اتمام هذا البحث ، وأخص بالذكر فضيلة المشرف الدكتور / عبد العزيز الدرديري الذي لم يدخر وقتا ولا جهدا في سبيل اتمام هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن تكون مرضية ، كما أشكر فضيلة الدكتور /عبد الفتاح عاشور ، وفضيلة الدكتور / عبد الرحمن علي عراس لتفضلهما بالإشراف على هذا البحث في مراحل سابقة .

المقدّمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون " (١) ، " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا " (٢) ، " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما " (٣) .

أما بعد ، فان أعز ما يتشرف به الانسان هذا العلم ، وأشرف هذا العلم كتاب الله : فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه .. من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

فلمكانة هذا الكتاب العظيم كان اعتزازى بالانتساب الى شعبة التفسير ، ولمكانة التفسير كان اختيارى لتفسير السمعانى .

أ ـ سبب اختيار تفسير السمعانى :

المساهمة فى نشر أحد تفاسير أهل السنة المشار اليهم فى القرن الخامس ،

---

١) آل عمران : ١٠٢ .

٢) النساء : ١ .

٣) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

والسمعانى كان امام عصره غير مدافع ، شوكا فى أعين المخالفين لأهل السنة .

ب ــ محاسن التفسير :

كثيرة منها : تقريره لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وانتصاره لها ، وقمعه لمخالفيها ، ومنها : كثرة الأحاديث والآثار فى تفسيره ، ومنها : التوسط بين البسيط كالطبرى والوجيز كالجلالين ، ومنها : السلاسة التى تفيض بها كافة مصنفاته ، ومنها : توسعه فى استعمال اسلوب الاستفهام لعرض المعانى البديعة ، والحض عليها ، وحسن الافهام ، ومنها : عنايته بالجانب الزهدى أو الوعظى فى تفسيره .

حـ ــ المآخذ على التفسير :

وكما أن محاسن التفسير كثيرة ، فالمآخذ عليه كثيرة أيضا ، وهى :

١ــ استكثاره من الرواية بالمعنى .

٢ــ قلة عزو الأقوال ، وكثرة الوهم عند العزو ، والعزو لما هو أدنى .

٣ــ الاستطرادات غير المفيدة .

٤ــ عدم تخريجه للأقوال ، وعدم حكمه على الأحاديث مع وجود الضعف فيها .

٥ــ ضعف الأسلوب .

والتفسير ــ فى غالب الظن ــ مجموع من مجالس درسه ، لم يتول بنفسه تصنيفه أو تنقيحه ، لذا وقع فيه ما تقدم ، وأمكن الاعتذار عنه .

د ــ أهم الصعوبات التى واجهتنى :

١ ــ روايته للأحاديث والآثار بالمعنى . وما لهذا من جهد مضاعف فى التخريج .

٢ ــ فقدان كثير من مصادره كتفسير النقاش والدمياطى والنحاس وابن فارس والكلبى ، الأمر الذى جعلنا نتوقف عن تخريج بعض النصوص أو نحيل الى من هو أدنى .

٣ ــ عدم وجود نسخة أخرى لتقويم النص ، الأمر الذى جعلنى أتردد بين مصادره وموارده ، وأحيانا ــ قليلة ــ أعجز عن تقويم النص .

هـ ــ أهم النتائج التى توصلت اليها :

بيان مكانة تفسير السمعانى العلمية من كونـــه :

١ــ الأصـــل الأول لتفسير البغـــوى .

٢ــ أحد الأصول المهمة لتفسير ابن الجوزى .

مكـونا ت الرسالة :

تتكون الرسالة من قسمين :

ا لقسم الأول : المقدمة ، وأفردت له المجلد الأول .

القسم الثانى : التحقيق والتعليق ، وهو ما يشمله المجلد الثانى .

القسم الأول : المقدمـــة .

وتتكـــون من بابيـــن :

الباب الأول : دراسة المؤلف والكتاب والمخطوطـة .

الباب الثانى : دراسة عن اتجاهات التفسير فى عصر المؤلف .

الباب الأول : دراسة المؤلف والكتاب والمخطوطة .

ويتكون من ثلاثـة فصول :

الفصل الأول : دراسة عن المؤلف .

عرفت موجزا : باسمه ، وكنيته ، ونسبه ، ومولده ، ووفاته ، ومكانته العلمية ، وأطلـــت بعض الشئ فى بيان مصنفاته .

الفصل الثانى : دراسة عن الكتاب .

ويتكون من ستة مباحث لا تخلو من الجدة :

المبحث الأول : اسم الـكتاب .

المبحث الثانى : توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف .

المبحث الثالث : محاسن التفسير .

المبحث الرابع: المآخذ على التفسير .

المبحث الخامس : القيمة العلمية للتفسير .

المبحث السادس: الاصطلاحات الخاصه بالمصنف .

الفصـــل الثالث : دراسة عن المخطوطة :

وحققت فيه انتساخ احدى المخطوطتين المتحصل عليهما من الأخرى ، وأهميـة الحاجه الى مخطوطة أخرى ، ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وصف المخطوطة .

المبحث الثانى : الحاجة الى مخطوطة أخرى .

المبحث الثالث : عملى فى التحقيق والتعليق .

الباب الثانى : دراسة عن اتجاهات التفسير فى عصر المؤلف (القرن الخامـــس الهجرى) .

واتجاهات التفسير فرع من اتجاهات الفرق التى تقوى أو تضعف تبعا للحالة السياسيـة ، لذا كان لزاما ان يكون هذا الباب من فصليـن :

الفصل الأول : أثر الحالة السياسية فى توجيه الفرق .

ويتكون من مبحثيـن :

المبحث الأول : الحالة السياسية فى القرن الخامس الهجرى .

وفى هذا القرن كانت نهاية عصر البويهيين الذى يعنى : نهاية دولة الرفض والاعتزال ، وفيه كانت بداية عصر السلاجقة الذى يعنى : بداية دولة الأشاعرة .

المبحث الثانى : الفرق فى هذا القرن .

وميلاد دولة الأشاعرة فى هذا القرن اقتضى منى اطالة الكلام عن الأشاعرة ـ وان أوجزت فى بيان الفرق الأخرى ـ فبينت كيف دخل الكلام المذموم الى الناس من الأشاعرة باسـم

أهل السنة ، ثم كيف كان الخلاف بين أهل السنة والأشاعرة خفيفا ، حتى تغلظ على يد الجوينى فى هذا القرن ، واثبت ذلك من كلامه ، وخصوصا من الارشاد ، وبينت سبب ذم السلف للكلام وأهله ، وسبب انتشار مذهب الأشاعرة ، فى كثير من المباحث المهمة التى قل ما تجدها مجموعة فى مكان .

الفصل الثانى : أثر التفرق فى توجيه التفسير .

ويعتمد هذا الفصل تلقائيا على ما تقدم ، ويهدف الى تقديم نماذج من التحريف فى التفسير تبعا لاتجاهات الفرق . ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أهم تفاسير القرن الخامس الهجرى .

وانقسمت تبعا لما تقدم الى قسمين :

أ ـ تفاسير أهل السنة .

ب ـ تفاسير الفرق .

قمت ببيان أهم التفاسير ، وما هو مطبوع منها أو مخطوط .

المبحث الثانى : اتجاه أهل السنة .

وبينت أنه يعتمد على السنة ، وهى تعنى : آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن أصول السنة عندهم : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والاقتداء بهم ، وبينت لذلك أن أحسن طرق التفسير عند أهل السنة :

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن .

٢ ـ تفسير القرآن بالسنة .

٣ ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

٤ ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين .

ثم حققت القول فى حجية تفسير الصحابة والتابعين ، وتحريم التفسير بالرأى مع بيان أنواع الرأى الباطل الذى منه : رأى أهل البدع والضلال من أصحاب الفرق : من

الجهمية والمعتزلة ، ومن ضاهاهم من الأشاعرة المتضمن تحطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة . وبينت أن هذا ما اصطلح على تسميته بالرأى ، ويقع على كل الفرق المخالفة لأهل السنة ـ كما تقدم ـ وان اطلق على أنواع أخر من الرأى المحمود ، فى بحوث أحوج ما نكون الى بيانها .

المبحث الثالث : اتجاهات الفرق .

واتجاهات الفرق جميعا تخرج من مخالفتهم لأهل السنة عن نهجهم المتقدم : من تقديم الحديث والأثر ، تارة بتقديم العقل على النقل ، وتارة بعدم حجية خبر الواحد ، وبغير ذلك من الكلام المذموم انتصارا للمذهب الفاسد .

وقد اخترت ثلاثة من تفاسير القرن الخامس المطبوعة المنتشرة لثلاث من فرق هذا القرن لأقدم من كل واحد منها نموذجا من التحريف المخالف لنهج أهل السنة المتقدم : فاجتزأت من لطائف الاشارات نموذجا من التحريف فى الصفات، ومن النكت والعيون نموذجا من الاعتساف للقدرية ، ومن التبيان نموذجا من الادعاء للامامة .

القسم الثانى : التحقيق والتعليق : ويأتى بيان على فيه [1] .

وقد ذيلت التحقيق بالفهارس التالية :

أ ـ فهرس المراجع ، ويشمل مراجع المجلدين .

ب ـ فهارس التحقيق ، وهى :

١ ـ فهرس الأحاديث القولية .

٢ ـ فهرس الآثار .

٣ ـ فهرس الأشعار .

٤ ـ فهرس المترجم لهم .

---

١) انظر : ٧٢/ ـ ٧٣ .

الباب الأول

دراسة

عن المؤلف والكتاب والمخطوطة

الفصل الأول

دراسة عن المؤلف

أولا : اسمه ، وكنيته ، ونسبه ، ومولده .

ثانيا : مكانته العلمية .

ثالثا : مصنفاته .

رابعا : وفاته .

أولا :

اسمه ، وكنيته ، ونسبه ، ومولده

أ - اسمه :

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر ابن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله (١) .

ب - كنيته :

أبو المظفر (٢) .

جـ - نسبه :

نسب الى بلده : " مرو الشاهجان "(٣) ، فقيل : المروزى(٤) على غير قياس(٥) ، ونسب الى بعض أجداده : " سمعان " ، فقيل : السمعانى(٦) ، ونسب الى قبيلته : " تميم "(٧) ، فقيل : التميمى (٨) ،

---

(١) و (٢) و (٤) و (٦) و (٨) الأنساب (٧/٢٢٢ - ٢٢٦) .

(٣) تمييزا لها عن مرو الروز ، وهى بلدة قريبة ليست مشهورة كمرو الشاهجان: بلد الاعيان ، وعاصمة خراسان ، حررها الله من النفوذ الشيوعى الروسى (معجم البلدان ٥/١١٢ - ١١٦) .

(٥) القياس ان يقال : " مروى " بكسر الواو ، وزيادة الياء المشددة (أوضح المسالك ٤/٣٣١ ، ٣٤٢) .

(٧) هو : تميم بن مرة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وانتسب الى تميم جماعة من الصحابة والتابعين والعلماء ، وغيرهم (الانساب ٣/٧٦ - ٧٧) .

ونسب الى مذهبه ، فقيل : الحنفى كان ثم الشافعى .[١]

د - مولده :

فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وأربع مائة ، بمرو الشاهجان من بلاد خراسان .[٢]

ثانيا :

مكانته العلميـــــــة

كان امام عصره غير مدافع ، وعديم النظير فى وقته ، أقر له بذلك الموافق والمخالف ، وقد اجمع الناس على امامته [٣]، يقول امام الحرمين : لو كـــان الفقه ثوبا طاويـا لكان ابو المظفر طرازه [٤] ، ويقول على بن ابى القاسم الصفار : اذا ناظرت ابا المظفر فكأنما اناظر رجلا من التابعين مما أرى عليه من آثـــار الصالحين . [٥] كان بحرا فى الوعظ ، عرفت مجالسـه بالنكت والفوائـــد ،

---

(١) سير اعلام النبلاء (١٩/ ١١٤) .

(٢) خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلى العراق ، وآخـــر حدودها مما يلى الهند ، ومن امهات بلادها : نيسابور وهراة ومـرو وبلخ وسرخس ونسا ، وما تخلل ذلك من المدن التى دون جيحـــون (مراصد الاطلاع ١/ ٤٥٥) . الانساب (٧/ ٢٢٢) .

(٣) الانساب (٧/ ٢٢٣) ، واللباب (١/ ١٣) ، ومختصر الصواعـــق المرسلة : ٤٠٥ .

(٤) و (٥) طبقات الشافعية للسبكى (٥/ ٣٤٢) . وامام الحرمين : شيخ الشافعية : ابو المعالى ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ،

وله وعظ مشهور بالجودة . (١)

ومما يبين عظيم مكانته : (٢)

(أ) اضطراب أهل مرو ، وتشوش العوام عند انتقاله الى المذهب الشافعي .

(ب) خروج عدة من الفقهاء في خدمته عند خروجه من مرو بعد الأمر بالتشديد عليه لذلك .

(جـ) اكرامه ، وانزاله في عز وحشمه ، وعقد مجلس التذكير له عند انتقاله الى طوس .

(د) عودته مكرما الى مرو ، وتدريسه في مدرسة الشافعية ، وتقديم النظام له على أقرانه .

(هـ) علو كعبه ، وظهور الاصحاب له والتلاميذ من الأمصار المختلفة .

== امام مجمع على امامته ، اشتغل بالكلام ونصر مذهب الأشعري في التأويل ، ولكنه رجع عنه ، ونهى عن الاشتغال بالكلام .
(سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ - ٤٧٧) .

(١) و (٢) سير اعلام النبلاء (١٩/ ١١٥ - ١١٨) بتصرف . والنظام هو : نظام الملك ، الوزير الكبير : الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، كان فيه خير وتقوى وميل الى الصالحين ، كان اشعريا شافعيا ، قتل صائما في رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة (سير اعلام النبلاء ١٩/ ٩٤ - ٩٦) .

ثالثا :

مصنفاتـــــــــــــــــه

لابى المظفر السمعانى مصنفات متعددة فى كثير من الفنون ، تتصف بالدقة والوضوح ، وتتسم بالحزم ، وتتميز بحسن الانتصار لاهل السنـــة والجماعة وبيان نهجهم ، من اطلع على هذه المصنفات تبين له باعه من العلم ، قال ابو سعد (١) : ولا أقدر على أن أصف بعض مناقبه ، ومن طالع تصانيفه وأنصف ، عرف محله من العلم . (٢)

أ - ففي العقيدة له :

١ - منهاج أهل السنة . (٣)

٢ - الانتصار لاهل الحديث . (٤)

٣ - الرد على القدرية . (٥)

٤ - الرسالة القوامية . (٦)

---

(١) حفيد المصنف ، تاج الاسلام وشيخ خراسان : عبد الكريم بـــن ابى بكر بن محمد بن ابى المظفر ، اليه انتهت رئاسة البيت السمعانى وكملت سيادتهم ، صنف التصانيف العظيمة كالانساب ، توفى بمرو سنة اثنتين وستين وخمسمائة (اللباب ١/١٤ - ١٦) .

(٢) ، (٣) الأنساب (٧/٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٤) الأنساب (٧/٢٢٤) ، وهو مختصر فى صون المنطق والكـــــلام (١٤٧ - ١٨٣) .

(٥) وهو أكثر من عشرين جزءاً . (الانساب ٧/٢٢٤) .

(٦) وكانت الى نظام الملك فى تقديم ادلة الامامة ،وفيها يقول : ابو بكـــر (رضى الله عنه) أفضل الصحابة فى جميع الاشياء . (طبقات الشافعيـة للسبكى ٥/٣٤٦) .

ب - وفي أصول الفقه له :

القواطع [١] ، أو قواطع الأدلة كما سماه محققه [٢] ، وهو أجمع ما كتب في أصول الفقه [٣] ، ويغني عما صنف في ذلك الفن . [٤]

مزايا القواطع :

١ - بيان أصول الفقه على أصول أهل الحديث . [٥]

٢ - دقته في التقسيم والتنظيم ، والترتيب والتبويب . [٦]

٣ - جمعه لخلاصة ما تفرق في كتب أصول الفقه . [٧]

٤ - تذليله لاصول الفقه بأوجز اسلوب . [٨]

---

(١) ، (٤) الانساب (٢٢٤/٧) ، والقواطع مصور ميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة تحت رقم (٢١٧٧/٣٠٩ ق) عن مكتبة فيض الله بتركيا .

(٢) د . محمد حسن هيتو بعنوان : قواطع الادلة في الأصول ، حيث قام بتحقيق القسم الأول منه : المقدمات الاصولية (مجلة معهد المخطوطات العربية : الكويت / عدد ربيع الأول - شعبان ١٤٠٢ هـ) .

(٣) السبكي (طبقات الشافعية ٢٥/٤) ، قال : ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب القواطع ولا أجمع .

(٥) يقول السمعاني (المقدمات الأصولية : مجلة معهد المخطوطات العربية ٢٣٤) : ورأيت بعضهم قد أوغل وحلل وداخل غير أنه حاد عن محجة الفقهاء في كثير من المسائل ، وسلك طريق المتكلمين الذين هم أجانب عن الفقه ومعانيه ، بل لا قبيل لهم فيه ولا دبير ، ولا نقير ولا قطمير .

(٦) ، (٧) على الابواب التالية : المقدمات الأصولية ، الاوامر والنواهي ، العموم والخصوص ، المفاهيم ، السنة الفعلية والقولية ، النسخ ، الاجماع ، الادلة المختلف فيها ، القياس ، الاجتهاد والتقليد .

(٨) يقول في مقدمته للقواطع (مجلة معهد المخطوطات / ٢٣٤) : وقد كانت جماعة من أصحابي ، أحسن الله تعالى لهم التولي والحياطة ، يطلبون

جـ - وفي الفقه ، لـه :

١ - البرهان ، وهو مطول يشتمل على قريب من ألف مسألة خلافية .(١)

٢ - الاصطلام ، وهو اختصار للبرهان ، سمى بالمختصر ، يعتبر من أعظم كتب الخلافيات التى سارت بها الركبان فى الآفاق والأمصار . (٢)

٣ - الاوساط . (٣)

د - وفي الحديث :

جمع الاحاديث الالف الحسان من مسموعاته عن مائة شيخ له عن كل شيخ عشرة أحاديث . (٤)

== يطلبون مجموعا من أصول الفقه يستحكم لهم بها معانيها ، ويقوى أزرها ، ويجمع أشدها ، وينسق فروعها ، ويرسخ أصولها .

(١) ، (٣) الانساب (٣/٢٢٤) .

(٢) الأنساب (٧/٢٢٤) ، وهو مصور ميكروفيلم بقسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية تحت رقم (٢١٨٥/٣٥١ ق) عن نسخة مكتوبة سنة تسع عشرة وخمسمائة بمكتبة فيض الله بتركيا . ويبدأ بباب الطهارة ، ويمر بمعظم كتب الفقه : كالصلاة والزكاة ، والحج ، والبيوع ، والربويات والسلم والرهن والضمان والشركة . . الخ ، وفيه يبدأ بتحرير مسائل الخلاف مسألة مسألة مع الاستدلال والترجيح .

(٤) الانساب (٧/٢٢٤ - ٢٢٦) .

هـ - وفي التفسير :

صنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه [1] ، ويتولى القسم حاليا تحقيقه .

رابعا :

وفاتـــــــــه

توفى يوم الجمعة ، الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة تســـــع وثمانين واربع مئة بمرو عن ثلاث وستين سنة [2] ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأثابه بقدر انتصاره لاهل الحديث والسنة .

---

(١) ، (٢) الانساب (٧/٢٢٤ - ٢٢٦) .

الفصل الثاني

دراسة عن الكتاب

أولا : اسم الكتاب .

ثانيا : توثيق نسبته الى المؤلف .

ثالثا : محاسن التفسير .

رابعا : المآخذ عليه .

خامسا : القيمة العلمية للتفسير .

سادسا : الاصطلاحات الخاصة بالمصنف .

أولا :

اسم الكتـــاب

سمى الكتاب بأسماء عدة ، فقيل : صنف التفسير[١] ، وقيل : تفسير القرآن[٢] ، وقيل : تفسير القرآن العزيز[٣] ، والصحيح الأول ، والاضافة انما هى تصرف من المترجمين لبيان الفن ، والى هذا ذهب المحققـــون كالذهبى[٤] وابن كثير[٥] ، ونسب التفسير الى السمعانى مباشرة ، فقيل : تفسير السمعانى .[٦]

ثانيا :

توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف

١ - ظاهر ما جاء فى الورقة الأولى من المخطوطة يشير الى نسبة هـــذا الكتاب الى المؤلف ، فنجد فى الورقة الأولى ما نصه : " تفســـير سورة فاتحة الكتاب ، قال الشيخ الامام الأجل الزاهد ، جمال الائمة ،

---

(١) ابو سعد السمعانى (الانساب ٧/٢٢٤) .
(٢) عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين ١٣/٢٠) .
(٣) ابن خلكان (وفيات الاعيان ٣/٢١١) .
(٤) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٦) .
(٥) البداية والنهاية (١٢/١٦٤) .
(٦) حاجى خليفة (كشف الظنون /٤٤٩) ، الزركلى (الاعلام ٨/٢٤٤) .

ابو المظفر ، منصور بن محمد السمعانى (رحمه الله) . . "[1] ثم سياق التفسير .

٢ - يقوى هذا الظاهر اتفاق المترجمين على نسبة تفسير اليه .[2]

٣ - يؤيد ما سبق اشارته الى كتبه الأخرى كالقدر والبرهان أو مختصره : فعند قوله تعالى : -(لا يسأل عما يفعل)- (الانبياء : ٢٣) ساق حديثا ، ثم قال : وقد ذكرنا هذا الخبر فى كتاب سنن القدر .[3] وعند قوله تعالى : -(وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم)- (البقرة : ٢٢٧) ، قال : والمسالة فى الخلافيات، ويعنى : البرهان أو مختصره لاشتماله على قريب من الف مسألة خلافية فى الفقه .[4]

٤ - يؤيد ما سبق : مشايخه الذين بثهم فى ثنايا أسانيده الخاصة ، كالحسن بن عبد الرحمن الشافعى ، فعند قوله تعالى : -(يوم تبدل الأرض غير الأرض)- (ابراهيم : ٤٨) ، قال :

---

(١) بخط الناسخ .

(٢) الداودى (طبقات المفسرين ٢/٣٤٠) ، والسبكى (طبقات الشافعية ٥/٣٤٢) ، وابن العماد الحنبلى (شذرات الذهب ٣/٣٩٣) ، وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ٥/١٦٠) وغيرهم ، بالاضافة الى ما تقدم .

(٣) أى : ما ساقه من أحاديث مسندة فى كتاب القدر .

(٤) قال المصنف فى صدر الاصطلام (مختصر البرهان) : الاختصار فى عرض المسائل الخلافية .

وقد صح عن النبى (صلى الله عليه وسلم) برواية مسروق عن عائشة (رضى الله عنها) انها قالت : يا رسول الله قوله تعالى : ـ(يوم تبدل الأرض غير الأرض)ـ الآية ، أين يكون الناس حينئذ، فقال (عليه السلام) : على الصراط : قال : أخبرنا بهذا أبو على : الحسن بن عبد الرحمن الشافعى ، قال ابو الحسن بن فارس ، قال ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرئ ، قال : حدثنا جدى محمد بن عبد الله ، قال سفيان بن عيينه عن داود بن ابى هند ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة (رضى الله عنها) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) : الخبر . قلت : وأبو على : الحسن بن عبد الرحمن ، مسند مكة[1]، من مشايخ السمعانى فى رحلته اليها . [2]

٥ ـ فاذا ما قارنا انتصاراته لاهل الحديث والسنة فى التفسير بكتبه الأخرى تيقنا انه للسمعانى ، ويكفى ما تقدم .

---

(١) من الثقات المكثرين ، كان يملى فضائل الصحابة حسبة لما منعت الديلم النساس فى بغداد أن يذكروا فضائل الصحابة ، وكتبت سب السلف على المساجد (المعين فى طبقات المحدثين /١٣٦ ، والانساب ٨/٢٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/١١٤ ـ ١١٥) .

ثالثا :

محاســـن التفســـير

من تكرار القول : إن من محاسنه تقريره لعقيدة أهل السنة والجماعة، وانتصاره لها ، وقمعه لمخالفيها ، فقد اشبعنا الدكتور / عبد القادر منصور فيها قولا [١] ، ومن تكرار القول : إن من محاسنه كثرة الأحاديث والآثار، فهذا تفسير سلفي معروف ، ومن تكرار القول : ان من محاسنه التوسط بين البسيط كالطبرى ، والوجيز كالجلالين ، فهذا أمر يعرفه كل من رآه ، ومن تكرار القول : إن من محاسنه السلاسة ، فهذا أمر تفيض به كافة مصنفاته، يقول ابو سعد : صنف التفسير الحسن المليح الذى استحسنه كل من طالعه .[٢]

لذا سأكتفى بابراز جانبين من الجوانب الحسنة فى هذا التفســـــير ، لم يتطرق اليها - فيما أعلم - عدا ما تقدم .

١ - أسلوب الاستفهام فى تفسير السمعانى :

ومما يتميز به تفسير السمعانى عن غيره من التفاسير توسعه فـــــى استعمال أسلوب الاستفهام لعرض المعانى البديعة ،والحض عليها ، وحسن الافهام[٣] ، وان أخذ عليه تكلفه أحيانا كثيرة طلبا للتوسع :

---

(١) مقدمة تحقيق سورتى الفاتحة والبقرة (١٩٩ - ٢٦٢) .

(٢) الانساب (٧/٢٢٤) .

(٣) معجم البلاغة العربية (١/٢٣٥) .

فعند قوله تعالى : ـ(فهى كالحجارة)ـ (البقرة : ٣٤) ، قال : فان قيل : لم قال أو أشد قسوة ، وأو كلمة التشكيك ؟ ولم شبه بالحجارة ، والحديد أصلب من الحجارة ؟ . قلنا : أما الأول معناه : وأشد قسوة . وقيل ، بل أشد قسوة ، وهو مثل قوله تعالى : ـ(الى مائة ألف أو يزيدون)ـ (الصافات : ١٤٧) أو : بل يزيدون . وقال جماعة من النحويين : ان شئت مثلهم بالحجارة ، وان شئت مثلهم بما هو اشد من الحجارة ، فأنت مصيب فى الكل ، وهذا قول حسن . وانما لم يشبه بالحديد لانه قابل للين ، فانه يلين بالنار ، وقد لان لداود عليه السلام ، والحجارة لا تلين قط . (١)

وعند قوله تعالى : ـ(قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)ـ (البقرة : ٩١) ، قال : فان قال قائل : القتل كان من آبائهم فكيف خاطب الابناء به ؟ . الجواب : قلنا : قتل الأنبياء وان وجد من الآباء لكن الابناء رضوا به ، ووالوهم عليه ، فلهذا خاطب الابناء به . (٢)

وعند قوله تعالى : ـ(الذى أنزل فيه القرآن)ـ (البقرة : ١٨٥) قال : فان قال قائل : انما انزل القرآن فى ثلاث وعشرين سنة ،

---

(١) تفسير سورة الفاتحة والبقرة (القسم المحقق ١/١٧٣) .

(٢) " " " " (" " ١/١٧٣) .

فكيف قال : أنزل فيه القرآن ؟ . والجواب : قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : أنزل الله القرآن جملة فى رمضان الى بيت فى السماء الدنيا يسمى بيت العزة ، ثم منه أنزله الى الأرض ارسالا .(١)

وعند قوله تعالى : -(ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)- (البقرة : ٢٢١) ، قال : فان قال قائل : كيف قال : -(خير من مشرك)- ، ولا خير فى الشرك ؟ قيل : يجوز مثله كما قال الله تعالى : -(آلله خير اما يشركون)- (النمل : ٥٩) . ويقال : الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .(٢)

وقد حاكاه البغوى فى الكثير ، وتخير منه ابن الجوزى القليل ، وكثيرا ما كانا يتفقان فى الأخذ عنه ، فعند قوله تعالى : -(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)- (النحل : ٦) ، قال السمعانى : فان قال قائل : لم قدم الرواح ، والسراح هو المقدم ؟ قلنا : لان المالك يكون أعجب بها اذا راحت ، ولأن المنافع منها انما تؤخذ بعد الرواح .(٣) وقد اقتبس البغوى وابن الجوزى هذا المعنى ، فقال البغوى : وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ، ومالكها يكون أعجب بها اذا راحت .(٤)

---

(١) تفسير سورة الفاتحة والبقرة (القسم المحقق ٢/٣٣٦ - ٣٣٧) .
(٢) " " " (" " " ٢/٤٤١) .
(٣) القسم المحقق فى هذه الرسالة (٢/١٦١/١٦٢) .
(٤) معالم التنزيل (٣/٦٢) .

وقال ابن الجوزى : فان قال قائل : لم قدم الرواح وهو مؤخر ؟ فالجواب : انها فى حال الرواح تكون أجمل لأنها قد رعـــت ، وامتلات ضروعها ، وامتدت أسنمتها . (١)

ب ـ الجانب الزهدى أو الوعظي في تفسير السمعاني :

واعتناء أهل السنة والجماعة بالزهد والرقائق أمر لا يخفى على أحد ينظر فى عامة مصنفاتهم ، يقول عند قوله تعالى : ـ(ما عندكم ينفـــد)ـ (النحل : ٩٦) يعنى : ان الدنيا وما فيها تفنى ، وقولـــه : ـ(وما عند الله باق)ـ (النحل : ٩٦) يعنى الآخرة . وعلـــى العاقل ان يؤثر ما يبقى . وفى بعض الاثار : للدنيا بنون وللآخـــرة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا . (٢)

ويقول عند قوله تعالى : ـ(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا بـــه أزواجا منهم)ـ (طه : ١٣١) : وروى عن ابى بن كعب انه قال : من لم يتعز بعز الله تعالى ، تقطعت نفسه حسرات ، ومن يتبـــع بصره ما فى أيدى الناس يطل حزنه ، ومن ظن ان نعمة الله تعالى فى مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه وحضر عذابه ، وعن يزيد بـــن ميسرة انه قال : كانوا يسمون الدنيا : خنزيرة ، ولو علموا اسما أسوأ منـــه

---

(١) زاد المسير (٤/٤٣٠) .

(٢) القسم المحقق من الرسالة (٢/٢٢٩) .

لسموها به ، فكانت اذا اقبلت على أحدهم ، قال : اليك ياخنزيرة.[1]

ويقول عند قوله تعالى : ـ(فقولا له قولا لينا)ـ (طه : ٤٤) قال بعضهم : هذا رفقك بمن يقول : انا الاله ، فكيف رفقك بمن يقول : أنت الاله ؟! ، وهذا رفقك بالكفار ، فكيف رفقك بالابرار ؟! وهذا رفقك بمن جحدك ، فكيف رفقك بمن وحدك ؟! وهذا تحيتك الى من تعاديه ، فكيف الى من تواليه وتناديه ؟! [2]

ويقول عند قوله تعالى : ـ(واذا مسه الشر كان يؤسا)ـ (الاسراء ٨٣) : ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من اجابة الله وان تأخرت الاجابة مدة طويلة ، وعن بعض التابعين انه قال : انى ادعو الله بدعوة منذ عشرين سنة ولم يجبني اليها وما أيست منها ، قيل : وما تلك الدعوة ؟ قال : ترك ما لا يعنيني .[3]

وعند قوله تعالى : ـ(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)ـ (الحجر ٩٩) يقول : وفي الاخبار المسندة برواية جبير بن نفير عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (ما أمرني بجمع المال وان أكون من التاجرين ، ولكن أمرني بالصلاة وأن اكون من الساجدين ، وأن أعبد ربي حتى يأتيني اليقين) .[4]

---

(١) القسم المحقق من الرسالة (٢/٥٢٧) .
(٢) " " " (٢/٤٧٢) .
(٣) " " " (٢/٣٦٣) .
(٤) " " " (٢/١٥٦) .

ويتحدث عن معنى العدل عند قوله تعالى : ـ(ان الله يأمر بالعدل)ـ (النحل : ٩٠) فينقل قول محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، قال : كن للصغير أبا ، وللكبير ابنا ، ولمثلك اخا ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ، واياك ان تضرب احدا بغضبك . (١)

وتشتد سخريته من الحياة الدنيا عند قوله تعالى : ـ(فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا)ـ (مريم : ٨٤) ، فيقول : وروى الأصمعي عن ابيه انه قال : رأيت رجلا على باب البصرة أيام الطاعون يعد الموتى ، وقد امه كوز ، كلما مر عليه بميت يلقى فيه حصى ، فعد في اليوم الأول : ثمانين ألفاً ، وفي اليوم الثاني : مائة وعشرين ألفا ، قال : فمررنا عليه بجنازة ، ثم عدنا فاذا عند الكوز غيره ، قلنا له : اين ذهب الرجل ، قال : وقع في الكوز . (٢)

ويبين ضآلة علم ابن آدم وهو أفضل ما يملك فيقول عند قوله تعالى ـ(وقل رب زدني علما)ـ (طه : ١١٤) : وعن مالك بن أنس ، قال : من شأن ابن آدم ان لا يعلم كل شيء ، ومن شأن ابن آدم ان يعلم ثم ينسى ، ومن شأن ابن آدم ان يطلب من الله علما الى علمه . (٣)

---

(١) القسم المحقق من الرسالة (٢/٢٢٢) .
(٢) " " " (٢/٤٣٩) .
(٣) " " " (٢/٥١٦) .

ويبث فى ثنايا وعظه الترهيب والترغيب ، فيقول عند قوله تعالى : -(ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا)- (الاسراء : ٣٢) : وفى بعض الاخبار برواية على (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) انه قال : (فى الزنا ست خصال : ثلاثة فى الدنيا ، وثلاثة فى الآخرة ، أما الثلاثة فى الدنيا : يذهب نور الوجه ، ويورث الفقر وخفض العمر ، وأما الثلاثة فى الآخرة : فغضب الرب ، وسوء الحساب ، ودخول النار) . (١)

وعند قوله تعالى : -(الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)- (النحل : ٣٢) ، يبشر المؤمن فيقول : وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) : ان الميت يزف الى الله كما يزف العروس . (٢)

ويظهر الطابع الوعظى فى تفسيره بكثرة ذكره للحسن البصرى ، يقول عند قوله تعالى : -(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)- (النحل : ٩٧) : روى عن الحسن البصرى ، قال : " الحياة الطيبة فى الجنة ، قال الحسن : وليس فى الدنيا حياة طيبة ، وعنه انه قال : " الدنيا كلها بلاء فما كان فيها من خير فهو ربح ، وروى انه سمع رجلا يقول لآخر : لا أراك الله مكروها ابدا ، فقال له : دعوت الله

---

(١) القسم المحقق من الرسالة (٢/٢٩٩) .

(٢) " " " (٢/١٧٧) .

بالموت ، فان الدنيـــا لا تخلوا عن المكـــــروه . (١)

وعند قوله تعالى : -(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)- (مريم : ٦٢) يقول : وكان الحسن البصرى اذا قرأ هذه الآية ،قال : لقد علمـــت العرب ان أرفه العيش هو الرزق بالبكرة والعشية ، ولا يعرفون من الرفاهية فوق هذا . (٢)

وعند قوله تعالى : -(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)- (الاسراء : ١٤) قال : قال الحسن : عدل معك من جعلك حسيب نفسك . (٣)

ويتحدث عن ضعف بنى آدم عند قوله تعالى : -(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما)- (طه : ١١٥) فيقول : وعن الحســـن البصرى ، قال : لو قوبل عقل آدم بعقل جميع ولده لرجحهم . (٤)

ويشير الى غفلة الناس وسعة فضل الله ، فيقول عند قوله تعالـــى : -(انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر)- (طه : ٧٣) فيقول : روى ان الحسن كان إذا بلغ الى هذه الآية ، قال : عجبا لقـــوم كافرين سحرة من أشد الناس كفرا رسخ الايمان فى قلوبهم حتى قالوا ما قالوا ، ولم ينالوا بعذاب فرعون ، وترى الرجل من هؤلاء يصحب الايمان ستين سنه

---

(١) القسم المحقق من الرسالة (٢/ ٢٣٠) .
(٢) " " " (٢/ ٤٢١) .
(٣) " " " (٢/ ٢٧٧ - ٢٧٨) .
(٤) " " " (٢/ ٥١٦ - ٥١٧) .

ثم يبيعـــــه بثمـــن يســـــير . (١)

ولا يفوت السمعاني في بيانه للجانب الزهدي ان يوضح بعض معالمه عند أهل السنة و الجماعة ، فيقول عند قوله تعالى : ـ(ذلك بانهـــم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة)ـ (النحل : ١٠٧) واعلم : ان المؤمن يجوز ان يطلب الدنيا ويطلب الآخرة ، ولكن لا يؤثر الدنيا علـــى الآخرة الا الكافر . (٢)

في كثير يحتاج الى بحث خاص .

رابعا :

المآخذ على التفسير

وكما ان محاسن التفسير كثيرة أشرنا الى بعضها ، فالمآخذ عليه كثيرة أيضا ، لكن امكن الاعتذار عنها .

المآخـــذ :

أ ـ استكثاره من الرواية بالمعنى .

ب ـ قلة عزو الأقوال ، وكثرة الوهم عند العزو ، والعزو لما هو أدنى .

جـ ـ الاستطرادات .

---

(١) القسم المحقق من الرسالة (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) .

(٢) " " " (٢/ ٢٣٨) .

د ـ عدم تخريجه للاقوال ، وعدم حكمه على الأحاديث مع وجود الضعيف فيها .

هـ ـ ضعف الاسلوب .

أ ـ استكثاره من الرواية بالمعنى :

فمعظم مادة التفسير منقوله بالمعنى ، ولم يقع هذا فقط في الآثار وأقوال أهل العلم ، بل وقع في الشعر والاحاديث المرفوعة[1]، وفي هوامش التحقيق بيان لامثلة كثيرة ، ونكتفي هنا ببيان أمثلة من بعض الأحاديث المرفوعة التي نص المصنف على مصادرها :

فعند قوله تعالى : ـ(ونفضل بعضها على بعض في الاكل)ـ (الرعد : ٤) ، قال : في جامع ابي عيسى الترمذي برواية ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله : (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) . قال : هذا حلو ، وهذا حامض : وهذا دقل ، وهذا فارسي . ونص رواية الترمذي : (الدقل والفارسي ، والحلو والحامض)[2].

وعند قوله تعالى : ـ(شهر رمضان)ـ (البقرة : ١٥٢) ، قال : وصح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال :

---

(١) لما كانت الرواية بالمعنى قد توقع في تغيير بعض الأحاديث ، منع من الرواية بالمعنى طائفة من المحدثين والفقهاء والاصوليين ، وشددوا على ذلك أكد التشديد ، يقول ابن كثير (الباعث الحثيث : ١٤١) : وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع ، ولكن لم يتفق ذلك .

(٢) جامع الترمذي (٥/٢٩٤) .

(اذا كان أول يوم من رمضان : فتحت أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين) أخرجه مسلم فى الصحيح . وصدر روايات مسلم الثلاث [1] : (اذا كان رمضان ..) ، (اذا جاء رمضان ..) ، (اذا دخل رمضان ..) .

وعند قوله تعالى : ـ(قولوا آمنا بالله)ـ (البقرة : ١٣٥) ، قال : وفى الخبر ان النبى (صلى الله عليه وسلم) قرأ فى الركعة الاولى من ركعتى الفجر هذه الآية ، قوله تعالى : ـ(قولوا آمنا بالله)ـ الى آخرها ، وقرأ فى الركعة الثانية : ـ(قل آمنا بالله وما أنزل علينا)ـ (آل عمران : ٨٤) الى آخرها ، أخرجه مسلم فى الصحيح ، ورواية مسلم : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقرأ فى ركعتى الفجر ، فى الأولى منهما : ـ(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا)ـ الآية التى فى البقرة ، وفى الآخرة منهما : ـ(آمنا بالله واشهد بانا مسلمون)ـ آل عمران . [2]

وترتب على استكثاره من ذلك ـ كما توقع ـ الخطأ فى حكايته للمعنى والوهم : فعند قوله تعالى : ـ(طه)ـ ، قال : ونقل الكلبى انه : بالإنسان بلغة عك . والصحيح انه : يارجل [3] ،

---

(١) صحيح مسلم (١/٧٥٨) .
(٢) " " (١/٥٠٢) .
(٣) النكت والعيون (٣/٧) .

قال ابن حجر : جاء عن ابن الكلبي انه لو قيل لعكي : يا رجل ، لم يجب حتى يقال له : طه . (١)

وعند قوله تعالى : ـ(من ورائه جهنم)ـ (ابراهيم : ١٦) ، قال : قال أبو عبيدة : قوله : ـ(من ورائه جهنم) ـ يعني : من بعده . والصحيح عن ابي عبيدة ، قوله : مجازه : قدامه وأمامه . (٢)

وعند قوله تعالى : ـ(انا كفيناك المستهزئين)ـ (الحجر : ٩٥) ، قال : قال ابن عباس : المستهزئون خمسة نفر ، وهم : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والاسود بن عبد يغوث ، والاسود بن عبد المطلب ، وعدي بن قيس : قلت : قوله : وعدي بن قيس وهم ، والصحيح : الحارث بن عيطل السهمي . (٣)

وعند قوله تعالى : ـ(وجعلنا الليل والنهار آيتين)ـ (الاسراء : ١٢) قال : وفي بعض الآثار ان ابن الكوا قام الى علي فسأله عن هذا فقال : أعمى (اراد عمى القلب) يسأل عن عمياء . ثم قال : السواد الذي في القمر . والصحيح انه قال : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكوا ،

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٣٢) .

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٧) .

(٣) الطبراني في الاوسط (مجمع الزوائد ٧/ ٤٧) . " قال الهيثمي : وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . قلت : وحسنه السيوطي (الدر المنثور ٥/ ١٠١) ، وأما عدي بن قيس فذكر عن قتادة (جامع البيان ١٤/ ٧١) .

فقال : ما السواد الذى فى القمر ؟ . فقال : قاتلك الله ، هـلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ؟! . قال : ذلك محو الليل . (١)

ب - قلة عزو الأقوال ، وكثرة الوهم عند العزو ، والعزو لما هو أدنى :

١ - قلة عزو الأقوال :

ويلاحظ من كثرة تكراره للعبارات التالية : قيل ، وحكى ، وقال البعض ، وقال الباقون ، وقال الشاعر ، وقال أصحاب الحديث ، وقال أهل التفسير ، وقال أصحاب المعانى ، وقال أهل اللغة ، وقال أهل الاصول ، وقال أهل النحو ، وغيرها .

٢ - كثرة الوهم عند العزو :

فعند قوله تعالى : -(واهجرنى ملياً)- (مريم : ٤٦) ، قال : قال عكرمة : دهرا . والصحيح قوله : حينا . (٢)

وعند قوله تعالى : -(فلنحيينه حياة طيبة)- (النحل : ٩٧) قال : وعن سعيد بن جبير ، قال : الحياة الطيبة رزق يوم بيوم.

قلت : قيل هذا عن قتادة (٣) ، وعن سعيد بن جبير ، قال : هى الرزق الحلال . (٤)

---

(١) جامع البيان (١٥/٤٩) .

(٢) النكت والعيون (٢/٥٢٧) ، وعن مجاهد وسعيد بن جبير (جامع البيان ١٦/٩١) ، قالا : دهرا .

(٣) زاد المسير (٤/٤٨٩) .

(٤) الكشف والبيان (٧/٢٠٧ آ) .

وعند قوله تعالى : -(يومئذ زرقا)- (طه : ١٠٢) ، قال : قال الحسن وقتادة وجماعة : عميا . قلت : ولا يعرف هذا عن الحسن أو قتادة ، وانما هو في معاني القرآن مبهما.[١]

وعند قوله تعالى : -(فمحونا آية الليل)- (الاسراء :١٢) قال : قال مقاتل : انتقص مما كان تسعة وستون جزءا وبقي جزء واحد . قلت : وهو عن ابن عباس [٢] ، واليه عزاه البغوي.[٣]

وعند قوله تعالى : -(وان عدتم عدنا)- (الاسراء : ٨) قال : فروى عن ابراهيم النخعي انه قال : عادوا الى المعصية فانتقم الله منهم بالعرب ، فهم مقهورون مستذلون الى يوم القيامة . قلت : وهو عن قتادة . [٤]

وقد يعزو القول الى غيره ، وهو من الاسرائيليات ، فعند قوله تعالى : -(ولي فيها مآرب أخرى)- (طه : ١٨) ،قال : وعن الضحاك : كانت تضيء له بالليل بمنزلة السراج . قلت : وهو عن قتادة[٥] ، وهو من الاسرائيليات . [٦]

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩١) ، وكذا في تنوير المقباس/ ٢٦٦ .
(٢) الكشف والبيان (٢/ ١٠٣أ) .
(٣) معالم التنزيل (٣/ ١٠٧) .
(٤) جامع البيان (١٥/ ٤٤) بالمعنى .
(٥) ابن ابي حاتم (الدر المنثور ٥/ ٥٦٥) .
(٦) قال ابن كثير (تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٧٣) : وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت ، فقيل : كانت تضيء بالليل ..

وكما وقع الوهم فى عزو الآثار ، وقع فى عزو الأحاديث ، فعند قوله تعالى : -(وقل لهما قولا كريما)- (الاسراء : ٢٣) قال : روى عامر بن ربيعة ان رجلا أتى النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : ان أبوى قد توفيا ، فهل بقى شىء أبرهما به ؟ . فقال : نعم : انفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، والاستغفار لهما ، والصدقة عنهما . قلت : والصحيح انه عن مالك بن ربيعة . (١)

وعند قوله تعالى : -(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا)- (الاسراء : ٤٥) قال : روى فى الأخبار انه لما نزلت سورة -(تبت يدا ابى لهب)- جاءت امرأته أم جميل ومعها فهر ، وقصدت النبى (صلى الله عليه وسلم) ... الخبر ، ثم قال : روته عائشة (رضى الله عنها) . والصحيح انه من رواية أسماء . (٢)

== والظاهر انها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها ثعبانا ، فما كان يفر منها هاربا ، ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية .

(١) سنن ابن ماجه (٢/١٢٨ - ١٢٩) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٢/١٩٥) ، وصححه ابن ابى حاتم (الدر المنثور ٥/٢٩٢) .

٣ - العزو لما هـــو أدنى :

وهذا وان لم يكثر الا أنه وقع : فعند قوله تعالـــى :

-(وهم يكفرون بالرحمن)- (الرعد : ٣) ،قال : قـــال

ابن جريج : الآية مدنية فى قصة الحديبية . قلت : والأولـى

ان يقال : انها عن مجاهد . (١)

وعند قوله تعالى : -(وافئدتهم هواء)- (ابراهيم: ٤٣) ،

قال : قال ابو عبيدة : متخرقة لا تعى شيئا . قلت : والأولـى

العزو الى ابن عباس ومجاهد وابن زيد وغيرهم . (٢)

وعند قوله تعالى : -(ولتعلمن اينا أشد عذابا وابقـــى) -

(طه : ٧١) ، قال : وذكر الكلبى ان فرعون قطع ايديهم

وارجلهم وصلبهم . قلت : والأولى العزو الى ابن عباس .(٣)

وعند قوله تعالى : -(طوبى لهم)- (الرعد : ٢٩) ،قال :

وعن ابن عباس برواية الكلبى انهم قالوا : طوبى شجرة فى الجنة ،

تظلل الجنان كلها ، قلت : وجاء من غير طريق الكلبى . (٤)

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١٥٠) من طريق ابن جريج وبه : قتادة .

(٢) جامع البيان (١٣/ ٢٤٠) .

(٣) جامع البيان (١٦/ ١٨٨) عن السدى ، قال : فقتلهم وقطعهـــم ، كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا : -(ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنـــا مسلمين)- (الأعراف : ١٢٦) ، قال : كانوا فى أول النهار سحـــرة ، وفى آخر النهار شهداء .

(٤) جامع البيان (١٣/ ١٤٧) .

وربما وقع ذلك منه أيضا في الأحاديث . فعند قوله تعالى : ـ(وان منكم الا واردها)ـ (مريم : ٧١) ،قال : وروى مرة عن ابن مسعود ان الناس يمرون النار ويصدر المؤمنون عنها باعمالهم : فأولهم كلمح البصر ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس ، ثم كشد الرحل ، ثم كالماشي . قلت : وهو حديث مرفوع من طريق ابن مسعود فالأولى رفعه . (١)

جـ ـ الاستطرادات :

للسمعاني استطرادات حسنة في تفسيره ، كاستطراداته الوعظية.(٢) واستطراداته في بيان العقيدة(٣) . ونأخذ عليه هنا :

١ ـ استطراداته في القراءات القرآنية .

٢ ـ استطراداته الشعرية .

١) استطراداته في القراءات القرآنية :ـ

وكانت دون كبير فائدة : فلا هو استوعب القراءات ،ولا هو اكتفى بقراءة معينة ، ولا هو تحدد بمنهج ، مع وقوعه فيما يلي :

أ ـ اكتفائه ـ في الكثير ـ بتعديد القراءات ، دون تقديم معان جديدة ، أو مع تقارب المعاني .

---

(١) جامع الترمذي (٥/٣١٧) .

(٢) انظر : المبحث السابق .

(٣) انظر : مقدمة تفسير سورتي الفاتحة والبقرة / ١٩٩ ـ ٢٦٠ .

ب ـ اثارته ـ أحيانا ـ للشاذ من القراءات على حساب المتواترة ، بالاضافة الى وقوعه ـ فيما تقدم الاشارة اليه ـ من :

جـ ـ الرواية بالمعنى ، مع الوهم فى العزو .

أ) اكتفاؤه بتعديد القراءات :

فعند قوله تعالى : ـ(مكانا سوى)ـ (طه : ٥٨) ،قال : قرئ بالرفع ، وقرئ بالكسر ، ولم يضف شيئا .

وعند قوله تعالى : ـ(وقد خلت من قبلهم المثلات)ـ (الرعد : ٦) ، قال : وقرأ الأعمش (المثلاث) بفتح الميم وكسر الثاء وحكى عنه انه قرأ : (المثلاث) بضم الميم وتسكين الثاء. ثم قال : والمعانى متقاربة .

ب) اثارته للشاذ من القراءات على حساب المتواترة :

فعند قوله تعالى : ـ(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه)ـ (الاسراء : ٢٣) ، قال : قرأ عبد الله بن مسعود : (ووصى ربك الا تعبدوا الا اياه) ، وقال الضحاك : كان فى الاصل : (ووصى) الا انه اتصل الواو بالصاد فى الكتابة فقرئ : (وقضى) . قلت : قال أبو حاتم : لو قلنا ذلك لطعن الزنادقة فى مصحفنا [1]، وقال ابو حيان : ينبغى أن يحمل ذلك على التفسير لانها مخالفة لسواد المصحف ، والمتواتر هو : (وقضى) ، وهوالمستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم فى اسانيد القراء السبعة .[2]

---

(١) الجامع لاحكام القرآن (١٠/٢٣٧) .
(٢) البحر المحيط (٦/٢٥) .

ج) الرواية بالمعنى ، والوهم في العزو :

فعند قوله تعالى : ـ(امرنا مترفيها)ـ (الاسراء : ١٦) ،
قال : وفي قراءة ابي بن كعب ، واذا اردنا ان نهلك قرية
بعثنا مترفيها . قلت : الصواب : بعثنا فيها أكابر مجرميها .(١)

وعند قوله تعالى : ـ(ربنا اغفرلي ولوالدي)ـ (ابراهيم :
٤١) ،قال : وقرأ ابراهيم النخعي ويحيى بن يعمر : (ولولدي)
قلت : والصحيح عن يحيى بن يعمر : ولولدي (بضم الواو
واسكان اللام وكسر الدال) .(٢)

٢) استطراداته الشعرية :

ويؤخذ عليه فيها ما تقدم ـ من استطراداته في القراءات القرآنية ـ
فلا هو استوعب الشواهد الشعرية ، ولا هو اكتفى بها في الشكل (٣)
ولا هو تحدد بمنهج . وأخذ عليه ايضا ـ في استشهاداته ـ ما يلي :

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/١١٩) .
(٢) المحتسب (١/٣٦٥) .
(٣) فعند قوله تعالى : ـ(وحنانا من لدنا)ـ (مريم : ١٣) ،قال :
أي رحمة من عندنا ، قال الشاعر :
ابا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
فالمعنى ليس بمشكل ، جاء عن ابن عباس من طريق ابن ابي طلحة ،وقال
به : عكرمة وقتادة والضحاك (جامع البيان ١٦/٥٥) .
وعلى الرغم من ذلك اغفل المصنف ذكرهم ، وقدم هذا الشاهد !.

أ ـ استشهاده بغير المعروف ، وأحيانا بالموضوع .

ب ـ استشهاده بالمحتمل .

جـ ـ استشهاده لاستطراداته .

هذا مع ما تقدم من الرواية بالمعنى ، ومن قلة العزو ، مع عدم مناسبة التفسيرات الوسيطة للاستطرادات الشعرية .

أ ـ استشهاده بغير المعروف ، وأحيانا بالموضوع* :

فعند قوله تعالى : ـ(فتقعد ملوما محسورا)ـ (الاسراء: ٢٩)

قال : وانشدوا فى الدابة الحسير :

له ريك حسرى : فأما عظامها فبيض ، وأما جلدها فصليب

والشاهد غير معروف ، ولا فائدة له .

وعند قوله تعالى : ـ(قالوا ان هذان لساحران)ـ (طه : ٦٣)

استشهد الجرمي بالألف على صورة الرفع ـ(هذان)ـ بقول الشاعر :

أى قلوصى راكب تراها طاروا عليهن فطر علاها

قال ابو حاتم : سألت عن هذه الأبيات ابا عبيدة ، فقال : أنقط عليه ، هذا صنعه المفضل . قلت : وقد صح غير هذا الشاهد مما هو أولى منه . (١)

---

* حذف هذا المطلب .

(١) انظر القسم المحقق من الرسالة (٢/٤٨٣) .

ب - استشهاده بالمحتمل :

فعند قوله تعالى : -(وجعلناكم اكثر نفيرا)- (الاسراء: ٦)

قال : أى : أكثر عددا ، قال الشاعر :

واكرم بقحطان من معشر وحمير اكرم بقوم نفيرا

قلت : والشاهد عند ابى حيان لمن قال بان النفير مصدر ،

أى : أكثر خروجا الى الغزو . (١)

وفي معرض الاستشهاد لمجيء -(هذان)- في الآية المتقدمة

قال : وانشد الكسائى شعرا :

تزود منا بين اذناه ضربة دعته الى هابى التراب عقيم

والشاهد : جر (أذناه) بالألف على هذه اللغة .

قلت : وقد جاء الشاهد بجرها بالياء . (٢)

جـ - استشهاده لاستطراداته :

فعند قوله تعالى : -(ربما يود الذين كفروا لو كانوا

مسلمين)- (الحجر : ٢) ،قال : اعلم ان كم للتكثير ،

ورب للتقليل ، ويقال : ربما بالتشديد ،وربما بالتخفيف ،

وربتما بالتاء بمعنى واحد ، قال الشاعر :

ما وى يا ربتما غارة شعواء كاللذعة بالميسم

---

(١) البحر المحيط (٦/١٠) .

(٢) الصحاح (٦/٢٥٣٢) .

قلت : والشاهد (لربتما) التي استطرد اليها ، وليس لـ (ربما) في الآية الكريمة .

د ـ عدم تخريجه للأقوال ، وعدم حكمه على الأحاديث مع وجود الضعف فيها :

وهذا كثير في تفسيره ملحوظ ، نكتفي بأمثله حديثية : فعند قوله تعالى : ـ(ويقتلون النبيين)ـ (البقرة : ٦١) ،قال : وفي الحديث ان رجلا قال : يا نبيء الله بالهمز والمد ،فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : لست بنبيء الله ، انما انا نبي الله . قلت : والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقال الذهبي : بل منكر لم يصح . (١)

وعند قوله تعالى : ـ(صفراء فاقع لونها) ـ (البقرة : ٦٩) ،قال : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور حتى ينزعها . قلت : والحديث أخرجه الطبراني(٢) ولفظه : من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور مادام لابسها . قال الهيثمي : وفيه ابن العذراء غير مسمى ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

وعند قوله تعالى : ـ(فذبحوها وما كادوا يفعلون)ـ (البقرة: ٧١) قال : وفي الحديث ان النبي (صلى الله عليه وسلم) ، قال :

---

(١) المستدرك (٢/ ٢٣١) .

(٢) مجمع الزوائد (٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .

شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ولواعترضوا بقرة فذبحوها حصل مرادهم . قلت : والحديث رواه البزار[1] . قال الهيثمي : وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف . وبقية رجاله ثقات .

وقد يخرج الحديث فيذكر مصدره ، ويترك الحكم الموجود في المصدر ! فعند قوله تعالى : ـ(سبحان الذى أسرى بعبده)ـ (الاسراء : ١) ، قال : وروى معمر عن قتادة عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : ان جبريل (عليه السلام) جاء بالبراق مسرجا ملجما ، فاراد الرسول أن يركبها فاستعصت عليه ، فقال لها جبريل : والله ما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفض عرقا ، قال : ذكره ابو عيسى في جامعه .[2] قلت : وقال : هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه الا من حديث عبد الرزاق .[3]

وقد يتساهل أكثر ، فيترك بيان المتروك : فعند قوله تعالى : ـ(ولا تمدن عينيك)ـ (طه : ١٣١) ، قال : روى عن ابى رافع ان النبى (صلى الله عليه وسلم) نزل به ضيف ، ولم يكن عنده شيء فبعث الى يهودى يستقرض منه طعاما ، فأبى الا برهن ، فرهن درعه ، وحزن منه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . قلت : هو من طريق

---

(١) مجمع الزوائد (٦/٣١٤) .

(٢) جامع الترمذى (٥/٣٠١) .

(٣) قال ابن حجر (فتح البارى ٧/٢٠٧) : وصححه ابن حبان .

موسى بن عبيدة ، قال ابن حجر : وهو متروك ، قال : واستدل على بطلان ما رواه انه وقع فيه ان قوله تعالى : -(ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم)- الآية نزلت فى هذه القصة، وسورة طه مكية ، وهذه القصة انما كانت فى المدينة ، كما فى الصحيح.(٢)

هـ - ضعف الاسلوب :

فعند قوله تعالى : -(قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)- (الحجر : ٥٨) -(الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين)- (الحجر: ٥٩) قال : هذا استثناء من الاستثناء ، فالاستثناء الأول من المهلكين ، والباقى من المنجين ، فبقى المستثنى بالاستثناء الثانى من المهلكين وهو قوله تعالى : -(الا امرأته)- ، وقد أوجز البغوى ذلك باسلوبه ، فقال : والاستثناء من النفى اثبات ، ومن الاثبات نفى ، فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين . (٣)

وكما ظهر هذا فى انشائه ، ظهر فى الأقوال والآثار والأحاديث التى يرويها بالمعنى : فعند قوله : -(قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا)- (مريم : ٢٩) ، قال : قال ابو عبيدة : (كان) صلة،

---

(١) جامع البيان (١٦/٢٣٥) .
(٢) الكافى الشافى /١٠٩ .
(٣) معالم التنزيل (٣/٥٣) .

ومعنى الآية : كيف نكلم صبيا فى المهد ؟ ، قال : وقال الزجاج : هذا على طريق الشرط ، أى : من هو صبى فى المهد ، كيف نكلمه ؟ قلت : ونص قول ابى عبيدة هو : ولكان مواضع : فمنها لما مضى ، ومنها لما حدث ساعته ، وهو : كيف نكلم من حدث فى المهد صبيا ، ومنها لما يجيء بعد فى موضع : يكون [1] . ونص قول الزجاج هو : انها فى معنى الشرط والجزاء ، فالمعنى : من يكون فى المهد صبيا ، فكيف نكلمه [2] ؟ ! .

وعند قوله تعالى : -(واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالنـــاس)- (الاسراء : ٦٠) ،قال : قال الحسن : حال بينهم وبين أن يقتلوك أو يكيدوك بغير القتل . ونص قول الحسن هو : احطت لك بالعرب أن لا يقتلوك ، فعرف أنه لا يقتل . [3]

وعند قوله تعالى : -(يأخت هارون)- (مريم : ٢٨) ، قال : روى المغيرة بن شعبة ان النبى (صلى الله عليه وسلم) لما بعثه الى نجران ،قال له نصارى نجران : انكم تقرءون -(يا أخت هارون)- ، وبين مريم وهارون كذا وكذا من السنين ، فلم يدر المغيرة كيف يجيب ، فلما رجع الى النبى (صلى الله عليه وسلم) ذكر ذلك فقال :الا قلت لهم :

---

(١) مجاز القرآن (٢/٧) .
(٢) زاد المسير (٥/٢٢٨) .
(٣) جامع البيان (١٥/١١٠) .

كانوا يسمون بأسم أنبيائهم وصالحيهم . والحديث في مسلم مختصر كالتالي : قال : لما قدمت نجران سألوني ، فقالوا : انكم تقرؤن ـ(يا أخت هارون)ـ ، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سألته عن ذلك ، فقال : انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم . (١)

وضعف الأسلوب فيما تقدم واضح .

الاعتذار :ـ

هذه أبرز المآخذ على تفسير السمعاني ، وأغلب الظن عندي أن السبب فيما تقدم املاؤه للتفسير دون كتابته اعتمادا على ذاكرته ، وبعض التفاسير المختصرة (ستأتي) ، بالاضافة الى غلبة الجانب الوعظي عليه ، يقول الذهبي : كان بحرا في الوعظ . . . له وعظ مشهور بالجودة . . عرفت مجالس وعظه بالنكت والفوائد (٢) ، وتقدم الاشارة الى ذلك .

إملاء التفسير دون كتابته ، وابرز الاسباب التي ترجح ذلك :

أ ـ عرض أسانيده الخاصة .

ب ـ التكرار والاستدراك .

---

(١) مسلم (٢١٣٥) .

(٢) سير اعلام النبلاء (١٩/١١٥ ـ ١١٨) .

جـ ـ عدم التقديم للتفسير .

د ـ عرضه للقراءات .

هـ ـ اضافات السمعاني .

أ ـ عرض أسانيده الخاصة :

وفيه من التزكية ما يؤكد اضافته من السامع :

فعند قوله تعالى : ـ(وان منكم الا واردها)ـ (مريم : ٧١)

نجد : قال الشيخ الامام الاجل ابو المظفر السمعاني .

وعند قوله تعالى : ـ(ولقد اتيناك سبعا من المثاني)ـ

(الحجر : ٨٧) نجد : قال الشيخ الامام الاجل شيخ الاسلام

أبو المظفر . وتكرر ذلك في غالب أسانيده .

ب ـ التكرار والاستدراك :

فتكرار الكلام بشكل ضعيف ، والاستدراك على الآية في آية

أخرى ، يشير الى انه كان يعتمد على الحفظ والاملاء :

فعند قوله تعالى : ـ(والشجرة الملعونة)ـ (الاسراء : ٦٠)

قال عند حديثه عن شجرة الزقوم : والقول الثاني : ان في

شجرة الزقوم انها شجرة الكشوثا التي تلتوي على الشجر فتجففه .

وعند قوله تعالى : ـ(الذي جعل لكم الأرض مهادا)ـ

(طه : ٥٣) ، قال : وقرئ (مهدا) .. ثم قال : انتهى

كلام فرعون مع موسى وجوابه اياه . قلت : وهذا موضعه

قبل الكلام السابق ، ثم عاد الى الآية فقال : ـ(الذى جعل لكم الأرض مهدا)ـ ابتداء كلام من الله ، ومعناه : ستقرا .

جـ ـ عدم التقديم للتفسير :

كعادة المصنفين ، ودخوله الى التفسير مباشرة ، فغى فاتحة التفسير وعند القول فى تفسير فاتحة الكتاب نجد : قال الشيخ الامام الأجل الزاهد جمال الائمة ابو المظفر منصور بن محمد السمعانى (رحمه الله تعالى) : أعلم ان لهذه السورة أربعة أسامى ... هكذا دون مقدمات : وبأسلوب يشير الى التحديث والاملاء .

د ـ اعتماده على الكتب المجملة أو المختصرة :

كالنكت والعيون ، وتنوير المقباس ، ومعانى القرآن للزجاج ـ كما سيأتى ـ يؤكد هذا المعنى .

هـ ـ عرضه للقراءات :

ويؤكد ما تقدم عرضه للقراءات :

فعند قوله تعالى : ـ(مكانا سوى)ـ (طه : ٥٨) ،قال : قرئ بالرفع وقرئ بالكسر دون بيان ما الذى يقرأ بالرفع ،وما الذى يقرأ بالكسر ! (١)

وعند قوله تعالى : ـ(واذا أردنا أن نهلك قرية)ـ (الاسراء : ١٦)

---

(١) التيسير / ١٥١ ، قال : عاصم وابن عامر وحمزة ـ(مكانا سوى) ـ بضم السين ، والباقون بكسرها .

قال : وقرئ : -(أمرنا مترفيها)- والمعروف هذا ، دون أن يتبين لنا ما هو هذا المعروف ! (١)

وعند قوله تعالى : -(ربنا اغفر لي ولوالدي)- (ابراهيم : ٤١) ، قال : قرأ سعيد بن جبير : (ولوالدي) ، وقرأ ابراهيم النخعي ويحيى بن يعمر : (ولولدي) (٢) ، والمعروف : (ولوالدي) دون أن يفرق لنا ما بين المعروف وقول سعيد بن جبير . (٣)

وللاسف يكثر هذا في التفسير ، ولا يمكن أن يفسر هذا الا باعتماده على التلقين والاملاء في مجالس التفسير . (٤)

و - صيغة السماع :

يؤكد ما تقدم -أيضا- الحكاية عنه بلفظ : قال :

فعند قوله تعالى : -(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)- (الاسراء : ٦١) ، قال السمعاني : قد ذكرنا السجود في سورة البقرة ثم قال السامع : قال : واختلاف الناس فيه .

---

(١) بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها .

(٢) بتشديد الياء (المحتسب ١/٣٦٥) ، يعني : اسماعيل واسحاق .

(٣) قرأ سعيد بن جبير باسكان الياء (المحتسب ١/٣٦٥) ، قال ابن جني يعني أباه وجده .

(٤) ويظهر هذا حتى في غير القراءات ، فعند قوله تعالى : -(قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما)- (مريم : ٧٣) ، قال : (والمقام) موضع الاقامة و (المقام) فعل الاقامة -دون ان يشير الى ان الأولى بفتح الميم والثانية بضمها .

فاذا تحقق لنا امامة السمعاني وعظيم مصنفاته مع ما تقدم من المآخذ ، لم يتبق لنا الا التسليم بما ذكرت .

والحمد لله أولا وآخرا .

* * *

خامسا :

القيمة العلمية للتفسير :

وبعد تعدد المآخذ على التفسير كما تقدم ، يتوارد على الذهن تلقائيا السؤال التالى : هل لا زال للتفسير قيمة علمية ؟! .

والجواب : نعم ، فصحيح ان المآخذ تعددت ، لكن المحاسن ـ أيضا ـ تعددت ، وسواء ترجحت المحاسن على المآخذ أو العكس ، يتبقى للتفسير أمران لا يمكن الحط منهما علميا :

أ ـ اختياراته من المصادر المختلفة ، وخاصة من تنوير المقباس .

ب ـ رجوع المتأخرين اليه ، وتداول ما نقلوه منه .

أ ـ اختياراته من المصادر المختلفة ، وخاصة من تنوير المقباس .

للسمعانى اطلاع كبير على مصادر كثيرة فى التفسير يتفاوت اعتماده عليها :

١ـ فهناك مصادر اعتمد عليها كثيرا : كتنوير المقباس ، والنكت والعيون[١] ، ومعانى القرآن للزجاج[٢] .

٢ـ وهناك مصادر توسط اعتماده عليها : كتفسير الطبرى[٣] وابن ابى حاتم[٤]

---

١) للماوردى ، وهو من أهم مصادر السمعانى على الاطلاق ، ويحتاج الى دراسة مستقلة .

٢) ويعتبر أصلا للسمعانى فى أسلوب الاستفهام (انظر : القسم المحقق من الرسالة ٢/١٥٦) ، وفى اللغة والمعانى (انظر الاسراء ٥ ، ٣٥) .

٣) صرح به فى سورة الاسراء (الاية / ٥٠) .

٤) انظر : القسم المحقق (٢/١٢) .

والكشف والبيان[١] ، وكمجاز القرآن [٢] ، ومعانى القرآن للفراء [٣] .

٣- وهناك مصادر قل اعتماده عليها : كتفسير النقاش[٤] والدمياطى[٥] والنحاس[٦] وابن فارس [٧] والكلبى [٨] ، وكمعانى القرآن للاخفش الأوسط[٩] .

٤- وهناك مصادر ترددت فى تفسيره مرات قليله : كتفسير الازهرى[١٠] والقفال الشاشى [١١] ومقاتل بن حيان[١٢] ومقاتل بن سليمان[١٣] ، وغيرها [١٤] . هذا عدا مصادره فى الحديث ، والقراءات ،واللغة ، والتاريخ ، والوعظ[١٥] ، والقصص[١٦] ، ما يحتاج الى بحث مستقل .

---

١) انظر : القسم المحقق (٢/٣٧) .
٢) لابى عبيدة ، صرح به السمعانى مرات كثيرة ، ووصفه بقوله : امام اللغة (تفسير سورتى الفاتحة والبقرة ٢/٤٦٦) .
٣) صرح به السمعانى مرات عديدة (انظر تفسير سورتى الفاتحة والبقرة ١/٧٣) .
٤) انظر : الاسراء / ٣ ،ومريم / ١٢ .
٥) انظر : ابراهيم / ٤١ ، والاسراء / ٦٠ .
٦) انظر : النحل / ٧٥ و ٨١ .
٧) انظر : طه / ١١٧ .
٨) سياتى .
٩) انظر : تفسير سورتى الفاتحة والبقرة (١/١٠٣) .
١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ، (١٤) انظر : (مقدمة تفسير سورتى الفاتحة والبقرة / ٢٩٠ - ٢٩٦) .
١٥) كتنبيه الغافلين ، ونوادر الاصول (انظر : القسم المحقق من الرسالة ٢/٢٩٩ و ٣٣٧) .
١٦) كعرائس المجالس (انظر : القسم المحقق من الرسالة ٢/

اختياراته من تنوير المقباس[١] :

لم ينفرد السمعانى بالاخذ عن تنوير المقباس ، وانما سبقه الى ذلك أئمة المفسرين كالطبرى والثعلبى :

فعند قوله تعالى : ((وجعل فيها رواسى)) (الرعد : ٣) ،قال: اى جبالا ثوابت . قلت: وهو عن تنوير المقباس[٢] ، وقاله الطبرى[٣] .

وعند قوله تعالى : ((ابتغاء حلية)) (الرعد : ١٧) ، قال : معناه : لطلب الحلية . قلت: وهو عن تنوير المقباس[٤] ، وقاله الطبرى[٥] .

وعند قوله تعالى : ((انما يتذكر أولوا الالباب)) (الرعد : ١٩) ، قال : اى يتعظ أولوا الالباب . قلت : وهو عن تنوير المقباس[٦] ، وقاله الطبرى[٧] .

---

١) قلت : وهو من رواية محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، ومحمد بن مروان هو السدى الكوفى ، تركوه ، واتهمه بعضهم بالكذب (ميزان الاعتدال ٤/٣٢) ، والكلبى هو محمد بن السائب ، قال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق فى وصفه (ميزان الاعتدال ٣/ ٥٥٩) . وابو صالح هو : مولى أم هانئ ، لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبى من أبى صالح الا الحرف بعد الحرف ! (ميزان الاعتدال ٣/٥٥٩) . قلت : ورواية المصنف عن الكلبى فى تفسيره تعود الى قول ابن عدى (ميزان الاعتدال ٣/٥٥٨) : وقد حدث عن الكلبى سفيان وشعبة وجماعة ،ورضوه فى التفسير ، وأما الحديث فعنده مناكير ،وخاصة اذا روى عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

٢) ، (٤) ، (٦) تنوير المقباس / ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

٣) ، (٥) ، (٧) جامع البيان (١٣/٩٦ ، ١٣٤ ، ١٣٩) .

وعند قوله تعالى : ((انما انت منذر)) (الرعد : ٧) ، قال : مخوف . قلت : وهو عن تنوير المقباس [١] ، وقاله الثعلبى [٢] .

وعند قوله تعالى : ((لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك)) (الرعد : ٣٠) ، قال : لتقرأ عليهم الذى أوحينا اليك . قلت : وهو عن تنوير المقباس[٣] ، وقاله الثعلبى [٤] .

وعند قوله تعالى : ((قل هو ربى)) (الرعد : ٣٠) ، قال : قل الرحمن ربى . قلت : وهو عن تنوير المقباس[٥] ، وقاله الثعلبى [٦] .

وقد توافق هو والواحدى فى كثير من الاختيارات التى لم تقع للطبرى ولا للثعلبى ،فعند قوله تعالى : ((وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم)) (الرعد : ٧) ، قال : لذو تجاوز عن الناس على ظلمهم . قلت : وهو عن تنوير المقباس[٧] وقاله الواحدى [٨] .

وعند قوله تعالى : ((وما دعاء الكافرين الا فى ضلال)) (الرعد : ١٤) قال : يعنى الا فى خطأ وبطلان . قلت : وهو عن تنوير المقباس[٩] ، وقاله الواحدى [١٠] .

وعند قوله تعالى : ((وسخر لكم الشمس والقمر)) (ابراهيم : ٣٣) ، قال : وذلل لكم . قلت : وهو عن تنوير المقباس [١١] ، وقاله الواحدى [١٢] .

---

١) ، (٣) ، (٥) تنوير المقباس / ٢٠٦ ، ٢٠٨ .
٢) ، (٤) ، (٦) الكشف والبيان (١٢٢/٧ أ ، ١٣٦ ب ، ١٣٧ أ) .
٧) ، (٩) ، (١١) تنوير المقباس / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ .
٨) ، (١٠) ، (١٢) الوجيز (٤٢٣/١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧) .

وقد ينفرد السمعانى باختيارات يوافقه فيها البغوى وابن الجوزى معا ، أو أحدهما ، أو ينفرد بها ، وهنا تكمن القيمة العلمية التى تحتاج الى استقراء خاص لتحدد لنا ما قدمه لنا هذا الامام من اختيارات جديدة دخلت كتب التفسير من خلاله عن تنوير المقباس :

فعند قوله تعالى : ((أولم تكونوا أقسمتم)) (ابراهيم : ٤٤) ، قال : اى حلفتم فى الدنيا . قلت : وهو عن تنوير المقباس (١) ، وقاله البغوى (٢) وابن الجوزى (٣) .

وعند قوله تعالى : ((وخاب كل جبار عنيد)) (ابراهيم : ١٥) ، قال : أى : وخسر . قلت : وهو عن تنوير المقباس (٤) ، وقاله البغوى (٥) .

وعند قوله تعالى : ((ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)) (النحل : ٣٦) ، قال : أى : وحدوا الله . قلت : وهو فى تنوير المقباس (٦) ، وقاله ابن الجوزى (٧) .

وعند قوله تعالى : ((كذلك يضرب الله الحق والباطل)) (الرعد : ١٧) قال : اى : كذلك يبين الله الحق والباطل بضرب المثل . قلت : وهو عن تنوير المقباس(٨) ، وانفرد به المصنف (٩) .

---

١) ، (٤) ، (٦) ، (٨) تنوير المقباس/ ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٠٧ .
٢) ، (٥) معالم التنزيل (٣/ ٣٩ ، ٢٨) .
٣) ، (٧) زاد المسير (٤/ ٣٧٢ ، ٤٤٥) .
٩) قال ابو عبيدة (مجاز القرآن ١/ ٣٢٨) : ((كذلك يضرب الله الحق والباطل)) أى يمثل الله الحق ويمثل الباطل ، وبه : الطبرى (جامع البيان ١٣/ ١٣٤) .

قلت : وانه وان جاز للمصنف ان تكون له اختيارات من تنوير المقباس كالطبرى والثعلبى ، فلا يجوز له ان ينسب ذلك الى ابن عباس ، وخصوصا اذا جاء ما يخالفه من أهم الطرق عنه :

فعند قوله تعالى : ((تؤزهم أزا)) (مريم : ٨٣) ، قال : قال ابن عباس : تزعجهم ازعاجا . قلت : وهو عن تنوير المقباس ، قال : تزعجهم الى معصية الله ازعاجا [١] ، وقد جاء من طريق على بن ابى طلحة وهو من أهم الطرق عن ابن عباس ، مايخالفه ، قال : تغريهم اغراء [٢] .

ولم تقف اختيارات السمعانى عند تفسير ابن عباس من طريق الكلبى ، بل تعدته الى تفسير الكلبى نفسه ، وله سلف فى ذلك ، قال الثورى : اتقوا الكلبى ، فقيل : فانك تروى عنه ، قال : أنا أعرف صدقه من كذبه [٣] ، وهنا تكمن القيمة العلمية للاختيارات ،فعند قوله تعالى : ((وحفظناها من كل شيطان رجيم)) (الحجر : ١٧) ، قال : ذكر الكلبى ان السموات لم تكن محفوظة من الشياطين قبل عيسى ، فلما بعث عيسى عليه السلام ، حفظت ثلاثة من السموات ، فلما بعث محمد (صلى الله عليه وسلم) حفظت السموات كلها [٤] .

---

١) تنوير المقباس / ٢٥٥ .
٢) جامع البيان (١٦/١٢٥) .
٣) ميزان الاعتدال (٣/٥٥٧) .
٤) النكت والعيون (٢/٣٦٣) ، وعن كعب بن منبه (فتح البارى / ٦٧٢) ، قال : فحجب حينئذ من أربع سماوات . ولو كان بايدينا تفسير الكلبى لتبين لنا صحة الرواية عن الكلبى .

وعند قوله تعالى : ((وتظنون ان لبثتم الا قليلا)) (الاسراء : ٥٢) ، قال : قال الكلبي : ان الله يرفع العذاب عن الكفار بين النفختين ، وهو : اربعون سنة ، فاذا حشروا وقد استراحوا تلك المدة ، قالوا : ما لبثنا الا قليلا (١) .

وقد يعزو الى أهل التفسير ، ويعني الكلبي : فعند قوله تعالى : ((وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن)) (الاسراء : ٥٣) ، قال : قال أهل التفسير : كان المشركون يؤذون المؤمنين وكان المؤمنون يستأذنون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى القتال فينهاهم، ويأمرهم بالاحسان فى القول . قلت : وهو من تفسير الكلبي (٢) .

ب- رجوع المتأخرين اليه ، وتداول ما نقلوه :

لم ينتشر تفسير السمعاني كما انتشر تفسير البغوى ، وكما انتشر تفسير ابن الجوزى ، ويرجع ذلك الى انه لم يتول تصنيفه بنفسه ، ولم يتول تنقيحه وانما جمع من مجالس دروسه - كما تقدم - فقام البغوى (٣) بتنقيحه واختصاره

---

١) النكت والعيون (٢/٤٣٩) .
٢) الكشف والبيان (٢/١٠٨ ب) . قلت : لذا فالحاجة شديدة الى تحقيق تفسير الكلبى ، خاصة لتحقيق كتب التفسير ، بدلا من العزو الى النكت والعيون ، والكشف والبيان ، وغيرها ! .
٣) الامام ،الحافظ ،الفقيه ،المجتهد ،محيى السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعى ، قال السبكى : قدره طال فى الدين ، وفى الحديث ، وفى الفقه ،متسع الدائرة نقلا وتحقيقا ، توفى سنة تسع وثمانين وأربعمائة (تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٧ ، وسير اعلام النبلاء ١٩/٤٣٩ ، وطبقات المفسرين للداودى ١/١٦١ ، طبقات الشافعية للسبكى ٧/٧٦) .

واضافة ما يحتاج اليه معتمدا فى ذلك اعتمادا شبه كامل على تفسير الثعلبى الا ـن مروياته الخاصة [١] .. فتفسير البغوى ـ فى الحقيقة ـ ماهو الا تفسير السمعانى بفوائد الثعلبى [٢] بمروياته الخاصة [٣] .

وقد فات البغوى عزو كثير من الاقوال فى تفسير السمعانى ، فقـام ابن الجوزى بعزوها مع رجوعه اليه فى الكثير وهنا تكمن القيمة العلميـة : فالأصل الأول لتفسير البغوى هو تفسير السمعانى [٤] ، مع كونه أصلاهـما

---

١) يقول بعد أن ساق أسانيده الى كتب التفسير بالأثر : فهذه اسانيـد اكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة ، وهى مسموعة من طرق سواها ، تركـت ذكرها حذرا من الاطالة ، وربما حكيت عنهم أو عن غيرهم من الصحابـة أو التابعين قولا سمعته بغير هذه الأسانيد بعضها فى موضعه مـن الكتاب ان شاء الله تعالى عز وجل : ويقول عن مروياته الحديثيـة : وما ذكرت من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى أثناء الكتاب على وفاق آية أو بيان حكم ، فان الكتاب يطلب بيانه من السنة ، وعليها مدار الشرع وأمور الدين ، فهى من الكتب المسموعة للحفاظ وائمـة الحديث ، وأعرضت عن ذكر المناكير ومالا يليق بحال التفسير (معالـم التنزيل ١/ ٣٠ - ٣١) .

٢) العلامة ، أبو اسحاق ، أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى النيسابـورى كان أوحد زمانه فى علم القرآن ، يقال له الثعلبى (وهو أشهر) ، والثعالبى ، وهو لقب لا نسب ، توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائه (المعين فى طبقات المحدثين / ١٢٥ ، وطبقات الداودى ١/ ٦٦) .

٣) وقد قمت بتحقيق هذه العلاقة ـ وخصوصا بالثعلبى ـ فى بحث أرجو أن يظهر قريبا .

٤) سئل الامام ابن تيمية : أى التفاسير أقرب الى الكتاب والسنة ؟ الزمخشرى أم القرطبى أم البغوى أم غير هؤلاء ، فاجاب : وأما التفاسير الثلاثـة المسئول عنها ، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوى ، لكنـه

===

من مصادر ابن الجوزى فى تفسيره ، فتحقيق تفسير السمعانى تحقيقا جيدا هو لازم لتحقيق تفسير البغوى تحقيقا جيدا . وهو أمل أرجو أن يتحقق - وتحقيق تفسير السمعانى تحقيقا جيدا ، هو لازم أيضا لتحقيق تفسير ابن الجوزى[1] تحقيقا جيدا .

تفسير البغوى ماهو الا تفسير السمعانى :

وذلك بعد ان قام بمعالجة عامة المآخذ التى تقدمت فى تفسير السمعانى ، فالتزم - فى الغالب - بالفاظ النصوص دون الرواية بالمعنى ، واهتم بعزو الاقوال الى اصولها الأولى ، وحذف كافة الاستطرادات :الشعرية ، والقراءات ، وغيرها ، الا فى موطن الحاجة ، كل ذلك باسلوب جيد وقوى ورصين .

فعند قوله تعالى : ((له معقبات من بين يديه ومن خلفه)) (الرعد : ١١)) ، قال : وقد صح برواية أبى هريرة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) انه قال : ان لله ملائكة يتعاقبون بينكم ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم ، فيقول الله لهم : كيف تركتم عبادى ، فيقولون : آتينا وهم يصلون ،وتركناهم وهم يصلون . قلت :

=== مختصر من تفسير الثعلبى ، وحذف منه الأحاديث الموضوعة ، والبدع التى فيه ، وحذف اشياء غير ذلك (مجموع الفتاوى ٢/١٩٣) . قلت : والصحيح انه مختصر من تفسير السمعانى ، وقول ابن تيمية يشير الى الفوائد التى جمعها منه ، وقد أثبتناها ، لا الى اختصاره .

١) الامام ،العلامة ، عالم العراق ، وواعظ الآفاق ، جمال الدين ،ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على القرشى البكرى الصديق ===

والحديث متفق عليه[1] رواه المصنف بالمعنى ،فأعاده البغوى الى لفظه بسنده ، فقال : اخبرنا أبو الحسن السرخسى ، انا : زاهر بن أحمد ، انا : ابو اسحق الهاشمى ، انا : ابو مصعب ، عن مالك ، عن ابن الزناد عن الأعرج ، عن ابى هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟ . فيقولون : تركناهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون[2] .

وعند قوله تعالى : ((يحفظونه من أمر الله)) من الآية المتقدمة ، قال : وفى بعض الآثار ، ان الله تعالى يوكل ملائكة بالنائم يحفظونه من الحى والهوام ،فاذا قصده شئ ، قالوا : وراءك ، وراءك الا شئ قدر أن يصيبه . قلت : الاثر عن مجاهد ،عزاه البغوى اليه بعد اعادته الى لفظه ، فقال : قال مجاهد : ما من عبد الا وله ملك موكل به يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شئ يأتيه يريده الا قال : وراءك ، الا شئ يأذن الله فيه فيصيبه[3] .

الحنبلى ، صاحب التصانيف السائرة فى فنون العلم ، قال الذهبى فى التاريخ الكبير . لا يوصف ابن الجوزى بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة ، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه ، توفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة (تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢ ، طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٧٥-٢٨٠) .

١) صحيح البخارى ٧/١٧٧ ، وصحيح مسلم (الحديث : ٦٣٢) وقوله : (ان لله ملائكة) بمسند احمد (٢/٢٥٧) .

٢) معالم التنزيل (٣/٩) .

٣) معالم التنزيل (٣/٩) ،وكذا فى جامع البيان (١٣/١١٦) .

وفى نفس الآية استطرد السمعانى فذكر بعض القراءات الشاذة ،فقال: وعن ابن عباس انه قرأ : (له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه) (١) ثم قال : وقرئ فى الشاذ : (له معاقيب من بين يديه ومن خلفه) (٢) .

قلت : حذفهما البغوى اختصارا .

وفى نفس الآية ، وعند قوله تعالى : ((ومالهم من دونه من وال)) ، قال : أى : من ولى يمنعهم وينصرهم ، ثم استطرد ، فقال : قال الشاعر :

ما فى السماء سوى الرحمن من وال (٣)

فحذفه البغوى - ايضا - اختصارا . قلت : كل ذلك بعض تحقيق البغوى واختصاره لتفسير آية واحدة (٤) .

وكما عالج البغوى كثيرا من المآخذ فى تفسير السمعانى ، وقع فى بعضها متابعا له ، وهذا الجانب السلبى من القيمة العلمية ، وهو : بيان أصل هذه المآخذ فى تفسير البغوى ، وتقدم ان المآخذ فى تفسير السمعانى كثيرة :

فعند قوله تعالى : ((أويأخذهم فى تقلبهم)) (النحل : ٤٦) ، قال : قال ابن جريج : فى اقبالهم وادبارهم . قلت : وقد تابعه البغوى

---

١) البحر المحيط (٦/٣٧٢) .
٢) المحتسب (١/٣٥٥) عن عبدالله بن زياد ، قال : (له معاقيب من بين يديه) . قال ابن جنى : ينبغى ان يكون هذا تكسير : معقب أو معقبة ، الا انه لما حذف احدى القافين عوض منها الياء .
٣) الجامع لتفسير القرآن (٩/٢٩٥) .
٤) انظر : معالم التنزيل (٣/٩-١٠) .

فى قوله [١] . والقول لا يعرف الا عن الزجاج مع شئ من التأويل ، قال : انه جميع ما يتقلبون به[٢] ، أو عن ابن بحر كما عزاه الماوردى[٣] .

وعند قوله تعالى : ((للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة)) (النحل : ٣٠) ، قال : اختلف القول فيه : قال ابن عباس : هى تضعيف الاجر الى العشر فما زاد ، وقال الضحاك : الحسنة هو النصر والفتح ، وقال مجاهد : هو الرزق الحسن . قلت : والاقوال الثلاثة حكاها البغوى عنه مع جهالة مصدرها [٤] .

ومن ذلك كثير ، ورحم الله السيوطى وهو يقول : ثم الف فى التفسير خلائق اختصروا الاسانيد ، ونقلوا الاقوال بترا ، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل[٥] .

تفسير السمعانى أصل من أصول ابن الجوزى فى تفسيره :

وقد استفاد ابن الجوزى من تفسير السمعانى مباشرة بعد تنقيحه للاسلوب ، وتقدم ان من المآخذ على تفسير السمعانى : ضعف الاسلوب .

فعند قوله تعالى : ((وجعلنا من الماء كل شئ حى)) (الرعد : ٤) قال : وفى الآية رد على أصحاب الطبيعة : فان الماء واحد ، والهواء واحد ، والتراب واحد ، والحرارة واحدة ، والثمار مختلفة فى اللون والطعم

---

١) معالم التنزيل (٣/٧٠) .
٢) زاد المسير (٤/٤٥١) .
٣) النكت والعيون (٢/٣٩١) . قلت : ولعله من أوهام المصنف فى العزو .
٤) معالم التنزيل (٣/٦٧) .
٥) الاتقان (٤/٢٤٢) .

وقلة الريح وكثرة الريح . والطبيعة الواحدة يستحيل أن توجب شيئين مختلفين ،فدل هذا على أن الجميع من الله تعالى . قلت : ونقل ابن الجوزى ذلك عنه باسلوبه ،فقال : وفى هذا دليل بطلان قول الطبائعيين : لانه لو كان حدوث الشر على طبع الارض ، والهواء ،والماء ، وجب ان يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث ، فلما وقع الاختلاف دل على مدبر قادر(١) .

وعند قوله تعالى : ((ولنصبرن على ماءاذيتمونا)) (ابراهيم :١٢) ، قال : والآية تعليم المؤمنين وارشادهم الى الصبر على أذى مخالفى الحق . قلت : ونقل ابن الجوزى ، ذلك عنه باسلوبه ،فقال: وانما قص هذا وأمثاله على نبينا (صلى الله عليه وسلم) ليقتدى بمن قبله فى الصبر ، وليعلم ما جرى لهم(٢) .

وعند قوله تعالى : ((انما قولنا لشئ اذا اردناه)) (النحل :٤٠) ، قال : فان قيل : قد قلتم بان المعدوم ليس بشئ ، وقد جعل الله - ها هنا - المعدوم شيئا حيث قال : ((انما قولنا لشئ اذا أردناه)) ، ومعناه : أردنا تكوينه ؟ . والجواب : ان الاشياء التى قدر الله كونها هى فى علم الله كالكائنة ، فاستقام قوله : ((انما قولنا لشئ اذا أردناه)) قلت : ونقل ابن الجوزى ذلك عنه باسلوبه ، فقال : كيف سمى الشئ قبل وجوده شيئا ؟ . فالجواب : ان الشئ وقع على المعلوم عند الله

---

١) زاد المسير (٤/٣٠٣ - ٣٠٤) .
٢) زاد المسير (٤/٣٥٠) .

قبل الخلق ، لانه بمنزلة ما قد عوين وشوهد [١] .

وكما قام ابن الجوزى بتنقيح الاقوال التى اختارها من اقوال السمعانى ، قام بعزو كثير من النصوص التى أبهمها :

فعند قوله تعالى : ((ويدرأون بالحسنة السيئة)) (الرعد : ٢٢) ، قال : وفى الآية قول آخر : وهو ان السيئة الذنب ، والحسنة التوبة ، دون عزو ، فعزاه ابن الجوزى لابن كيسان [٢] .

وعند قوله تعالى : ((ومن عصانى فانك غفور رحيم)) (ابراهيم : ٣٦) ، قال : يحتمل وجهين : احدهما : انه قال هذا قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك ، دون عزو للوجه ، فعزاه ابن الجوزى لابن الانبارى [٣] .

ويدخل فى ذلك الاقوال التى أبهمها السمعانى عن الزجاج ، وهو من أهم مصادره : فعند قوله تعالى : ((ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)) (الحجر : ٢) ، قال : والقول الثانى : انه يوم القيامة دون عزو ، وعزاه ابن الجوزى للزجاج [٤] .

وعند قوله تعالى : ((ولقد اتيناك سبعا من المثانى)) (الحجر : ٨٧) قال السمعانى فى معنى ((المثانى)) : وقيل : لان فيها الثناء على الله تعالى دون عزو . وعزاه ابن الجوزى للزجاج [٥] ، وهو كثير نكتفى بما تقدم .

---

١) زاد المسير (٤/٤٤٧) .
٢) زاد المسير (٤/٣٢٥) .
٣) زاد المسير (٤/٣٦٥) .
٤) زاد المسير (٤/٣٨١) .
٥) زاد المسير (٤/٤١٣) .

سادســا :

الاصطلاحات الخاصة بالمصنف

وقبل ختام هذا الفصل نشير الى بعض الاصطلاحات الخاصة التـــى استخدمها المصنف فى تفسيره ومعرفة مقصده منها :

أ ـ الخبر، والأثر :

ســار المصنف على اصطلاح فقهاء خراسان فى تسمية الموقوف بالاثر ، والمرفوع بالخبر والحديث (١) :

فعند قوله تعالى : ((يمحو الله ما يشاء ويثبت)) (الرعد : ٣٩) ، قال : فيه أقوال : روى عن ابن عباس انه يمحو الله ما يشاء من الشريعة ، أى : ينسخ ويثبت ما يشاء فلا ينسخ (٢) .. ثم قال : وفى بعض الاثار : ان الرجل يكون قد بقى له من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد الـــى ثلاثة أيام ، والرجل يكون قد بقى له أيام فيصل رحمه فتمد الى ثلاثين سنة . قلت : والأثر عن ابن عمر(٣) .

---

١) التهانوى (قواعد فى علوم الحديث) ، قال : والمحدثون يسمون المرفوع والموقوف بالأثر .

٢) جامع البيان (١٣/١٦٩) من طريق ابن ابى طلحة ، قال : يبدل الله ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله ، ((وعنده ام الكتـــاب)) يقول : وجملة ذلك عنده فى أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ، وما يبدل وما يثبت ، كل ذلك فى كتاب .

٣) ابو الشيخ (الفتح الكبير ١/٣٦٧) ، قال الالبانى (ضعيف الجامع ، ٢/١٣٣) : ضعيف جدا . قلت : وصلة الرحم أو قطعها مما سبق به القضاء ، وهو من القضاء المعروف .

ثم قال : وقد ورد خبر يؤيد قول ابن عباس فى انه لا يمحى الشقاوة والسعادة والاجل والرزق ، روى حذيفة بن أسيد عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، قال : اذا وقعت النطفة فى الرحم ، ومضى عليها خمس واربعون ليلة ، قال الملك : يارب أذكر أم أنثى ؟ ، فيقضى الله ويكتب الملك . فيقول : يارب ، ما الاجل ؟ فيقضى الله تعالى ، ويكتب الملك ، ثم لا يزاد فيه ولا ينقص ، ثم قال : ذكره مسلم فى الصحيح (١) .

المؤثر على

ويؤثر عند المصنف قد يعنى الصحابى - كما تقدم - أو التابعى : فعند قوله تعالى : ((سلام عليكم)) (الرعد : ٢٣) ، قال : وفى الاثار انهم - يعنى الملائكة - يأتون بالتحف والهدايا من الله تعالى بقدر كل يوم من أيام الدنيا ثلاثة عشرة مرة . قلت : وهو عن سعيد بن جبير(٢) .

وعند قوله تعالى : ((وقال الشيطان لما قضى الأمر)) (ابراهيم : ٢٢) ، قال : وفى بعض الآثار : انه يوضع لابليس منبر من نار ، فيصعد عليه ويخطبهم ، وذلك حين يتعلقون به ويقولون : أنت فعلت بنا هذا . قلت : وهو عن الحسن البصرى (٣) .

ب - أهل المعانى :

قال ابو عمرو بن الصلاح : وحيث رأيت فى كتب التفسير : قال

---

١) صحيح مسلم (الحديث : ٢٦٤١) .
٢) ابن ابى حاتم وابو الشيخ (الدر المنثور ٦٣٩/٤) ، قال : يدخلون عليهم على مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات ، معهم التحف من الله ما ليس فى جنات عدن .
٣) جامع البيان (٢٠١/١٣) ، قال : اذا كان يوم القيامة ، قام ابليس خطيبا على منبر من نار .

أهل المعانى ،فالمراد به مصنفوا الكتب فى معانى القرآن كالزجاج ومن قبله(١) . وقال الواحدى : اكثر أهل المعانى : الفراء والزجاج وابن الانبارى(٢) . قلت : وقد سار المصنف على هذا الاصطلاح ،الا انه لم يلتزمه فاطلقه - قليلا - على مصنفى كتب التفسير .

فعند قوله تعالى : ((أفلم ييأس الذين آمنوا)) (الرعد : ٣١) ، قال : اكثر أهل المعانى على ان معناه : أفلم يعلم الذين آمنوا . قلت: وهو قول ابى عبيدة (٣) ، وابن قتيبة (٤) ،وابى بكر السجستانى (٥)

وعند قوله تعالى : ((ومن هو مستخف بالليل)) (الرعد : ١٠) ، وزعم بعض أهل المعانى ان قوله : ((ومن هو مستخف بالليل)) اى : ظاهر بالليل . قلت : وهو قول الأخفش(٦) .

وعند قوله تعالى : ((وان كان أصحاب الايكة لظالمين))(الحجر : ٧٨) ، قال : قال أصحاب المعانى : ((ان)) للتاكيد ، وكذا اللام فى قوله : ((لظالمين)) . قلت : وهو قول الزجاج (٧) .

ومن اطلاقه على بعض أهل التفسير : عند قوله تعالى : ((ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة)) (النمل : ٦١) ، قال : وقال بعض أهل المعانى : معنى الآية : لو أخذ الظالمين فأهلك

---

١) ، ٢) البرهان فى علوم القرآن (١/ ٢٩١) .
٣) مجاز القرآن (١/ ٣٣٢) .
٤) تفسير غريب القرآن / ٢٢٧ .
٥) نزهة القلوب / ٢٠٨ .
٦) معانى القرآن (٢/ ٥٩٥) .
٧) زاد المسير (٤/ ٤١) .

الاباء انقطع النسل ، ولم يوجد الابناء فيهلك من فى الأرض ، قلت : وهو قول الماوردى (١) .

وعند قوله تعالى : ((فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما)) (طه : ١٢١) ، قال : وقال بعض أهل المعانى : بدت عورتهما دون غيرهما لان الله تعالى قال : ((فبدت لهما سوءاتهما)) . قلت : وهو قول القشيرى (٢) .

حـ ـ الاسانيد الخاصة بالمصنف :

قال ابن الصلاح : القصد من روايته والسماع منه أن يصير الحديث مسلسلا بحدثنا وأخبرنا ، وتبقى هذه الكرامة التى خصت بها هذه الأمة شرفا لنبينا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) (٣) ، وقال البيهقى : فمن جاء اليوم بحديث لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه ، ومن جاء بحديث معروف عندهم ، فالذى يرويه لا ينفرد بروايته ، والحجة قائمة بحديثه براوية غيره (٤) .

لذا فنجد ان كثيرا من هذه الاسانيد تنتهى الى صحيح البخارى أو الى حديث فى صحيح مسلم من غير طريقه : فعند قوله تعالى : ((وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)) (طه : ١٣٠) ،

---

١) النكت والعيون (٢/٣٩٦) .
٢) لطائف الاشارات (٤/١٥٦) ، قال : اى انه لم يطلع على سوءاتهما غيرهما .
٣) و (٤) علوم الحديث / ١٠٩ .

قال : وقد ثبت برواية جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنا جلوسا مع النبى (صلى الله عليه وسلم) فنظر الى القمر ليلة البدر، فقال: (انكم سترون ربكم مثل هذا ، وأشار الى القمر ، لا تضامون فى رؤيته، فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل غروب الشمس وقبل طلوعها فافعلوا) ثم قرأ هذه الآية : ((وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)) ، ثم ساق راوى التفسير السند التالى :

قال الشيخ الامام : اخبرنا بهذا المكى بن عبد الرزاق ، قال :اخبرنا جدى ابو الهيثم ، قال : ثنا الفربرى ، قال : نا البخارى (رضى الله عنه) ، قال : نا اسحاق بن ابراهيم ،عن جرير بن عبدالحميد الضبى ، عن اسماعيل بن ابى خالد ، عن قيس بن ابى حازم ، عن جرير : الحديث ، قلت : فالمكى هو الكشميهنى (١) (نسبة إلى قرية خربت من قرى مرو القديمة) ، وابو الهيثم هو : محمد بن مكى بن زراع ، اشتهر بروايته صحيح البخارى عن الفربرى (٢) ، والفربرى هو : محمد بن يوسف أحد رواه صحيح البخارى عنه (٣) ، وباقى الاسناد من رجال البخارى (٤) .

وعند قوله تعالى : ((يرثنى ويرث من ال يعقوب)) (مريم : ٦) قال : وقد ثبت عن النبى (صلى الله عليه وسلم) انه قال : (كان

---

١) التحبير (٢/ ٢١١) .
٢) اللباب (٣/ ٩٩) .
٣) رحل اليه الناس ، ووثقه ابو نعيم (تاريخ بغداد ١/ ٤١٤) .
٤) انظر : صحيح البخارى (٨/ ٥٩٧) ، والحديث رواه مسلم(٦٣٣) .

زكريا نجارا) . ثم ساق الراوى سنده ، فقال : قال الشيخ الامـــام الاجل : اخبرنا به ابو الحسن (احمد بن محمد بن النقور) ، قال : ابو القسم بن حبابة ، قال : عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغـوى ، قال هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن ابى رافـع ، عن ابى هريرة عن النبى (صلى الله عليه وسلم) الخبر ، اخرجه مسلم فى الصحيح (١) .

قلت : ولن تضـر أسانيد المصنف حديث البخارى أو حديث مسلـم مهما كان فيها من الضعف ، لذا أعرضنا عن دراسة هذه الاسانيد ، فلا قيمة لها علمية الا ما تقدم .

---

١) صحيح مسلم (الحديث : ٢٣٧٩) .

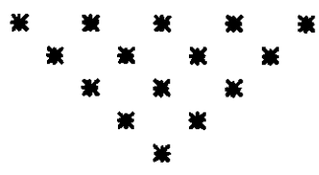

الفصل الثالث
دراسة عن المخطوطة

أولا : وصف المخطوطة .

ثانيا : الحاجة الى مخطوطة أخرى .

ثالثا : عملى فى التحقيق والتعليق .

أولا :

وصـــف المخطوطـــة

اعتمدت فى تحقيق تفسير السمعانى على نسخة المكتبة الأزهريـة ، ولم أتمكن من الحصول على نسخة أخرى[١] ، الا فيما قيل عن نسخـة دار الكتب المصرية [٢] ، وهى منسوخة من النسخة المتقدمة مع وجـود التصحيف والتحريف والسقط فيها .

نسخة المكتبة الأزهريـــة[٣]

وتقـع فى مجلديـن :

المجلد الأول : يقع فى (٢٨٨) ورقة ، ويبدأ من سورة الفاتحـة ، وينتهى بالآية (٨٥) من سورة الاسراء[٤] .

المجلد الثانى : ويقع فى (٣٤٩) ورقة ، ويبدأ بسورة مريم ، وينتهـى بـنهاية سورة الناس . اى يلاحظ سقوط سورة الكهـف بكاملها وأواخر سورة الاسراء من آخر المجلد الأول .

---

١) اشارت د . ابتسام الصفار (معجم الدراسات القرآنية / ١٥٩) الى نسخة برقم / ١٠١ تفسير فى مكتبة الاوقاف العراقية ببغداد ، لـم يتيسر الحصول عليها حتى الآن .

٢) انظر : مقدمة تفسير سورتى الفاتحة والبقرة / ٣٧١ - ٣٧٤ .

٣) أرمز لها أحيانا برمز : الازهرية .

٤) أى قوله تعالى : ((ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربـى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) .

نسخة دار الكتب المصرية(١)

وتقع فى ثلاثة مجلدات :

المجلد الأول : يقع فى (٢٥٩) ورقة ، يبدأ بسورة الفاتحة وينتهى بنهاية سورة التوبة .

المجلد الثانى : ويقع فى (٢٦٢) ورقة ، ويبدأ بسورة يونس وينتهى بنهاية سورة القصص .

المجلد الثالث : ويقع فى (٣٣٠) ورقة ، ويبدأ بسورة العنكبوت وينتهى بنهاية سورة الناس .

اهم ملامح النسخ الخطية :

مسلسل	النسخ الخطية / اهم الملامح	نسخة المكتبة الأزهرية	نسخة دار الكتب المصرية
١	الاوراق	من نوع قديم ، ذات وجهين ، أرمز للوجه "ب" وللظهر بالرمز "أ" ، فيصبح الوجه الايمن من الصورة "أ" والوجه الايسر "ب" .	من نوع جديد ، ذات وجهين أرمز للوجه بالرمز "ب" وللظهر بالرمز "أ" فيصبح الوجه الايمن من الصورة "أ" ، والوجه الايسر "ب" .
٢	نوع الخط	نسخ معتاد ، واضح ، قديم .	نسخ معتاد ، واضح جدا ، حديث .
٣	السداد	يظهر عليه القدم .	يظهر عليه الحداثة .

---

(١) أرمز لها أحيانا برمز : الدار .

مسلسل	النسخ الخطية / اهم الملامح	نسخة المكتبة الأزهرية	نسخة دار الكتب المصرية
٤	عدد السطور (في الوجه)	(٢٥) سطرا تقريبا	(٢٧) سطرا تقريبا .
٥	عدد الكلمات (في السطر)	(١٨) كلمة تقريبا	(١٥) كلمة تقريبا .
٦	التشكيل	نادر .	بدون .
٧	الحواشي	قليلة ، وبعضها الأقل بالفارسية (١) .	بدون .
٨	اسم الناسخ	بدون .	بدون .
٩	تاريخ الكتابة	بدون .	سنة ١٢٨١ هـ بدون تحديد اليوم والشهر للمجلد الأول والثاني ، ١٠ من جمادى الأولى للمجلد الثالث .
١٠	مالك النسخة	السيد محمد الشهير بمحمود زاد .	بدون .
١١	رقمها	(٢٠٩٥)	(٢٠٤٥) (١٣٦) تفسير .

---

١) الازهرية (١/ ٢٥٠ أ ، ٢٨٥) . قلت : ومادة الحواشي قد تكون تكرارا لبعض مادة الاصل ، أو نقلاً حرفيا من بعض كتب التفسير كالكشاف (الأزهرية ٢/ ١٢ أ ، ١٥ ب ، ٢٠ ب ، ٢٢ ب) ، والكواشي (الازهرية ٢/ ١٠ أ ، ١١ أ) ، وبعض كتب اللغة كالصحاح (انظر : تفسير سورتي الفاتحة والبقرة ١/ ١٢٨) ، فالقيمة العلمية لها معدومة ، لذا لم نشأ الاشارة اليها في هوامش التحقيق .

انتساخ مخطوطة الدار من المخطوطة الأزهرية :

١- سقوط سورة الكهف بكاملها من النسختين ، وأواخر سورة الاسراء يشير الى انتساخ احدهما من الأخرى ، أو انتساخهما من أصل واحد .

٢- وجود السقط فى اواخر المجلد الأول من الأزهرية ، وأواسط المجلد الثانى من الدار يشير الى انتساخ الثانية من الأولى .

٣- القدم الظاهر على الأزهرية ، ووجود الحواشى بها يقوى هذا المعنى .

٤- متابعة الدار للأزهرية فى التحريف ، حتى فى الآيات القرآنية[1] - أحيانا - يرفع من قوة هذا المعنى .

٥- البياض الثابت فى نسخة الدار ، والذى يقابل السواد الطارئ فى النسخة الازهرية عند قوله تعالى : ((وحنانا من لدنا)) (مريم : ١٢) يقطع بانتساخ مخطوطة الدار من المخطوطة الازهرية :

ففى الآية المتقدمة ، قال السمعانى : ((وحنانا من لدنا)) ،أى : رحمة من عندنا ، قال الشاعر :

أبا منذر (سواد طارئ بالاصل) حنانيك بعض الشر أهون من (سواد طارئ بالاصل) كذا فى المخطوطة الأزهرية[2] . فيلاحظ فى مخطوطة الدار

---

١) فعند قوله تعالى : ((ظل وجهه مسودا وهو كظيم)) (النحل : ٥٨) نجد فى الازهرية ما نصه : (فضل وجهه) ، وكذا فى الدار ، وعند قوله تعالى : ((فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)) (طه : ١٢٣) ، نجد فى الازهرية مانصه : (فمن تبع هداى) ،وكذا فى الدار . وعند قوله تعالى : ((فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)) (النحل/ ١٠٦) نجد فى الازهرية ما نصه : (ولهم عذاب اليم) ،وكذا فى الدار . وكذا عند قوله تعالى : ((وكان الانسان عجولا)) (الاسراء : ١١) ، نجد فى النسختين مانصه : (خلق الانسان عجولا) ، وعند قوله تعالى : ((قال فانك من المنظرين)) (الحجر : ٣٧) ،نجد فى النسختين ما نصه : (قال فانك من المنظرين) ،وعند قوله تعالى : ((قال رب بما اغويتنى)) (الحجر : ٣٩) ،نجد فى النسختين مانصه : (قال يارب بما اغويتنى) .

٢) الازهرية (٢/ ٣أ) .

فى مقابل هذا السواد الطارئ المانع من القراءة : بياض ،كالتالى :

أبا منـــــذر .. حنانيك بعض الشر أهون من[1]

وقوع التصحيف والتحريف والسقط فى نسخة الدار :

وهو كثير ، من امثلته ما جاء عند قوله تعالى : ((يا أخت هارون)) (مريم : ٢٨)،وعند قوله تعالى : ((قال انى عبدالله)) (مريم : ٣٠) .

فعند قوله تعالى : ((يا أخت هارون)) ،نجد فى الدار ما يأتى : وكان هارون رجلا عابدا فى بنى اسرائيل ، وليس هو هارون اخو موسى ، فشبهها به على معنى انا ظننا وحسبك ان تكون فى الصلاح مثل هارون[2] ونجد : وروى المغيرة بن شعبة ان النبى (صلى الله عليه وسلم) لما بعث الى نجران قال لنصارى نجران ايكم يقرون : ((يا اخت هارون)) ،بين مريم وهارون كذا كذا فى السنين[3] . وعند قوله تعالى : ((قال انى عبد الله)) ، نجد فى الدار ما يأتى : فى التفسير ان مريم لما أشارت اليه فكان يرتضع من ثديها ، فترك الثدى واقبل على يساره ، وجعل يشير بيمينه ، وقال هذا القول[4] .

قلت : قوله : وحسبك تحريف ، والصواب : وحسبنا[5] .

وقوله : لما بعث " ، " : لما بعثه[6] .

وقوله : قال لنصارى نجران ، " : قال له نصارى نجران[7] .

وقوله : ايكم يقرون ، " : انكم تقرؤون[8] .

---

١) الدار (٢/ ١٣٠أ) .
٢) و (٣) الدار (٢/ ١٣٢أ) .
٤) الدار (٢/ ١٣٢ ب) .
٥) و (٦) و (٧) الازهرية (٢/ ٤ ب) .

وفى قوله : فترك الثدى ، واقبل على يساره ، سقط مخل بالمعنى ، والصواب : فترك الثدى ، واقبل على القوم ، واتكأ على يساره[1] .

ثانيـــا :

الحاجة الى مخطوطة أخرى

على الرغم من جودة نسخة المكتبة الأزهرية ، الا انه قد وقع بها ما يقع فى معظم المخطوطات من : التصحيف ، والتحريف ، والخطأ ، والسقط ، ولتعذر حصولـى على نسخة أخرى اعتمدت ـ فى الغالب ـ فى تقويم النص على الاصـول التى رجع اليها أو رجعت اليه .

فعند قوله تعالى : ((فاذاقها الله لباس الجوع والخوف)) (النحـل : ١١٢) ، قال : روى ان الله تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين حـتى أكلوا الطعام المحترقة (كلمة غير واضحة) ، وهو الوبر بالدم . قلـت : والكلمة غير الواضحة هى : (العلهز) . أثبتها من أعظم مراجعه : النكت والعيون[2] .

وعند قوله تعالى : ((أكاد أخفيها)) (طه : ١٥) ، قال : ومعـنى ((اكاد)) تقريب الورود والاتيان ، كما قال صافى الرحمن :

---

١) الازهرية (٢/٥أ) : قلت : وصور الاسقاط كثيرة ومتنوعة ، منها ما تقدم ، ومنها : باسقاط الآية المفسرة أو الشاهد الشعرى أو جزء منه أو بجملة أو بشطر جملة أو بعلم من الاعلام (تفسير سورتى الفاتحة والبقرة ١/٢٤٨ ، ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٥٧ ، ١٥٤ ، ٢٣٨) ، هـذا عدا ما يكون ـ احيانا من التقديم والتأخير (تفسير سورتى الفاتحـة والبقرة ١/٢٥٠ ، ١٨٤) .

٢) النكت والعيون (٢/٤١٤) .

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حلائلـه .

قلت : والصواب : (ضبائ البرجمى) اثبتها من مراجعه : كالنكـت والعيون[١] ، ومن الكتب التى أخذت عنه : كزاد المسير[٢] .

وعند قوله تعالى : ((تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهـن)) (الاسراء : ٤٤) ، قال : وروى منصور بن المعمر (ابو عثاب) عن ابراهيم النخعى ، قال : وان من شئ جماد أو حى الا يسبح بحمده حتى صريـر الباب ، ونقيض السقف . قلت : والصواب : منصور بن معمر (أبوعتاب) ، وهو من رجال السنة اثبت ذلك من تقريب التهذيب [٣] .

ومعالم التنزيل باعتباره اختصاراًلتفسير السمعانى من أعظم المصادر التى أعتمد عليها فى تقويم المخطوطة ، فعند قوله تعالى : ((الم)) (البقرة: ١) نجد ما يلى : قال الشعبى ، وجماعة من المتقدمين ،فى هذا وسائر حروف التهجى فى فواتح السور ، والفائدة فى اوائل السور لا يعرف معناها ، وهى سر القرآن ، ولكل كتاب سر ، وسر القرآن حروف التهجى فى فواتح السور[٤]

قلت : يلاحظ على النص السابق ما يلى :

١- سقوط مقول القول .

٢- قوله : (والفائدة فى أوائل السور لا يعرف معناها) : وقيل ،لا معنى له.

---

١) النكت والعيون (٣/ ١١) .
٢) زاد المسير (٥/ ٢٧٦) .
٣) تقريب التهذيب (٢/ ٢٧٦) .
٤) انظر : تفسير سورتى الفاتحة والبقرة (١/ ٢٢) .

٣- تداخل الجمل ، واختلال المعنى .

قلت : والنص الصحيح كما فى معالم التنزيل ، كالتالى : قال الشعبى ، وجماعة من المتقدمين - فى هذا وسائر حروف التهجى فى فواتح السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه (مقول القول) ، وهى سر القرآن ، ولكل كتاب سر ، وسر القرآن حروف التهجى من فواتح السور . والفائدة من ذكرها طلب الايمان بها ، وأن يعلم أنها من عند الله تعالى (١) .

ثالثا :

عملى فى التحقيق والتعليق

أ - عملى فى التحقيق :

١- قسمت التفسير الى فقرات ، كل فقرة تحتوى على تفسير آية مستقلة .

٢- تبدأ الفقرة بأول الآية ،وتميز بقوله : قوله تعالى ، وتتبعها أجزاء الآية وتميز بقوله : وقوله .

٣- كتبت أرقام الآيات المفسرة أعلى الورقة ، ونبلت كل آية برقمها .

٤- قد يترك بعض الالفاظ التى استطردها فاذكرها مثل : قوله تعالى ، أو وقوله ، أو يقول : ظاهر فقط ، فأقول : ظاهر المعنى .

٥- قد يترك اكمال بعض الآيات فاكملها ، وقد يكرر بعض الآيات فاحذفها .

---

١) معالم التنزيل بهامش الخازن (١/ ٢٦) .

٦- حذفت لفظة (الآية) التى ذكرت قليلا بعد بعض الآيات .

٧- التزمت قواعد الاملاء الحديث ، واهتممت بعلامات الترقيم .

٨- ضبطت ما يحتاج الى ضبط (بالحروف) ، وخاصة القراءات .

٩- تابعت النص بين مصادره وموارده ، بذكر النصوص دون المعنى .

ب- عملى فى التعليق :

١- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها المعتمدة ، بعد اعادتها الى نصوصها ، مع بيان درجتها من الصحة والضعف ، ما أمكن .

٢- عزوت الاثار والقراءات والشعر الى قائليها - ما أمكن - بعد اعادتها الى نصوصها ، وبيان مظانها .

٣- شرحت الغريب من الألفاظ والمصطلحات ، مع التعريف بالمبهم أو المغمور من أسماء الناس والبلدان والكتب ، ونحوها .

٤- قارنت النص بالنصوص السابقة واللاحقة ، وبينت الأوهام التى وقعت فيه .

٥- ناقشت ما يحتاج للمناقشة ، مع ترجيح ما يتبين بالدليل ، وعرض ما يظهر له وجه .

* * *

الباب الثانى

دراسة

عن اتجاهات التفسير فى القرن الخامس الهجرى

"فى عصر المؤلف"

الفصل الاول
أثر الحالة السياسية في توجيه الفرق

أولاً : الحالة السياسية
ثانياً : الفرق

أولا :

الحالة السياسية

الحالة السياسية فى عصر ابى المظفر السمعانى ، تعنى الحالة السياسية فى القرن الخامس الهجرى ، والقرن الخامس الهجرى أحد قرون العصر العباسى الثانى (٢٤٧هـ - ٦٥٦هـ) ، وهذا العصر هو بداية عهد الضعف الذى أصاب الخلافة العباسية ، ويتميز بما يلى :[1]

أ - السيطرة العسكرية على مركز الخلافة .

ب - نشوء الدويلات التى استقل بعضها عن عاصمة الخلافة .

جـ - الغزو الصليبى للبلاد الاسلامية .

د - الغزو المغولى ، والقضاء على الخلافة العباسية بسقوط بغداد (٦٥٦هـ) كنهاية لهذا العصر .

وينقسم هذا العصر الى أربعة أدوار[2] :

أ - عصر النفوذ التركى .

ب - عصر بنى بويه .

جـ - العصر السلجوقى .

د - العصر الأخير .

عاصر المصنف دورين منها :

أ - عصر بنى بويه .

ب - العصر السلجوقى .

---

(١) انظر : التاريخ الاسلامى (٦/٦) .

(٢) انظر : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة / ٨ .

أ - عصر بنى بويه :

وفيه قامت دولة بنى بويه ببغداد فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، واستمروا الى سنة سبع واربعين واربعمائة ، تعاقب فيها أربعة خلفاء . :

١ - المطيع (٣٣٤ هـ - ٣٦٣ هـ) .

٢ - الطائع (٣٣٤ هـ - ٣٨١ هـ) .

٣ - القادر (٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ) .

٤ - القائم (٤٢٢ هـ - ٤٦٧ هـ) .

وقيام دولة بنى بويه ، يعنى : قيام دولة الرافضة ، يقول الذهبى : أما بغداد فرفعت المنافقون رءوسها ، وقامت الدولة الرافضية ، وكتبوا على أبواب المساجد لعنة معاوية ، ولعنة من غصب فاطمة فى حقها من فدك ، ولعنة من أخرج العباس من الشورى ، ولعنة نفى ابا ذر[1] . ويقول فى أحداث سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة : فيها يوم عاشوراء ، الزم معز الدولة أهل بغداد بالنوح والمأتم على الحسين بن على (رضى الله عنه) ، وأمر بغلق الأسواق وعلقت المسوح ، ومنع الطباخين من عمل الأطعمة ، وخرجت نساء الرافضة منشرات الشعور ، مضخمات الوجوه ، يلطمن ويفتن الناس ، وهذا أول ما نيح عليه .[2]

وقيام دولة الرافضة ، يعنى :

١ - قيام دولة الاعتزال .

٢ - نشر الدعوة الباطنية .

---

(١) العبر (٢/٨٦) .

(٢) العبر (٢/٨٩) .

هذا الى جانب اشتهار الفرق الكلامية : كالجهمية والكرامية والخوارج وغيرها[1]

١- قيام دولة الاعتزال[2] :

يقول الحاكم الجشمي[3] : لا شبهة ان المعتزلة هم الشيعة لاتباعهم أمير المؤمنين وأهل بيته فى كل عصر وحين ، واتفاقهم فى مذاهبهم[4] . ونقل عن ابى علي الجبائى[5] أنه هم أن يجمع بين المعتزلة والشيعة بالعسكر ، وقال : قد وافقونا فى التوحيد والعدل ، وانما خلافنا فى الامامة[6] . يقول المقريزى : ونشأ مذهب الاعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، وذهب اليه جماعة من مشاهير الفقهاء[7] .

٢ - نشر الدعوة الباطنية والتمكين لها :

يقول المقريزى : وقوى مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقيا وبلاد المغرب وجهروا بمذهب الاسماعيلية ، وبثوا دعاتهم بأرض مصر ، فاستجاب لهم خلق كثير

---

(١) انظر : خطط المقريزى (٣ / ٣٠٥) .

(٢) قد كانت لهم دولة فى عهد المأمون (ت/٢١٨) الذى تبنى القول بخلق القرآن ، لكنها لم تستمر الا الى أول عهد المتوكل (سنة : ٢٣٢) الذى نهى عن القول بخلق القرآن .

(٣) يقول عدنان زرزور (الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن / ٨٣) يمكننا ان نرجح هنا انه كان من أشهر رجالات المدرسة الجبائية بعد القاضى عبدالجبار ، مات مقتولا بمكة سنة / ٤٩٤ .

(٤ ، ٦) الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن / ٨٤ - ٨٥ .

(٥) شيخ المعتزلة ، وصاحب التصانيف ، محمد بن عبدالوهاب البصرى ، هو الذى ذلل الكلام وسهله ، ويسر ما صعب منه ، مات بالبصرة سنة ثلاث وثلاثمائة فخلفه ابنه : ابوهاشم الجبائى (سيراعلام النبلاء ١٤ / ١٨٣)

(٧) الخطط (٣ / ٣٠٥) .

من أهلها ، ثم ملكوها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، وبعثوا بعساكرهم الى الشام.[1]

ويضيف محمود شاكر : فالدولة العبيدية دانت لها المغرب ثم مصر وأجزاء من الشام فى أوقات متفاوتة ، والدولة الحمدانية فى الموصل والشام ، والقرامطة الذين حكموا البحرين وخضعت لهم الامارات فى اليمامة واجزاء من جزيرة العرب بل احتلوا دمشق ، هذا بالاضافة الى بنى بويه الذين يحكمون العراق وفارس والرى والجبل والكرج والاهواز ، ثم هناك الدولة السامانية التى هى أقرب الى الاسماعيلية ، هؤلاء جميعا يدعون الشيعة ، غير أن منهم الغلاة كالحمدانيين ومنهم أقل غلوا مثل بنى بويه ، ومنهم أصحاب الاصول اليهودية كالعبيديين ، ومن ينتمى الى المجوس كالقرامطة .[2]

فدولة بنى بويه ، هى دولة الزندقة والبدع ، يقول الذهبى فى احداث سنة اثنتين وستين وثلاثمائة : وفى رمضان قدم المعز أبو تميم العبيدى مصر ، ومعه توابيت آبائه ونزل بالقصر بداخل القاهرة المعزية التى بناها مولاه جوهر لما افتتح الاقليم ، وقويت شوكة الرفض شرقا وغربا ، وخفيت السنن واظهرت البدع ، نسأل الله العافية .[3]

ب - العصر السلجوقى :

وامتدت هذه المرحلة من عام ٤٤٧ هـ يوم دخل طغرلبك السلجوقى بغداد الى عام ٦٥٦ هـ ، يوم سقطت بغداد بيد هولاكو المغولى ، حيث تعاقب عليها

---

(١) الخطط (٣/٣٠٥) .
(٢) التاريخ الاسلامى (٦/١٤٩) .
(٣) العبر (٢/١١٣) .

اثنا عشر خليفة ، عاصر المصنف منهـــم :

١ - القائم بأمر الله (٤٢٢هـ - ٤٦٧هـ) ، وفى أيامه كانت نهاية البويهيين .(١)

٢ - المقتدى بالله (٤٦٧هـ - ٤٨٧هـ) .(٢)

٣ - المستظهر(٤٨٧هـ - ٥١٢هـ) ، وعاصر من خلافته سنتين .(٣)

وفى خلافتهم كان أقوى سلاطين السلاجقـة :

١ - طغـرلبك (ت/ ٤٥٥) ، وهو أول ملوكهم .(٤)

٢ - ألب أرسلان (ت/ ٤٦٥) ، وهو أول من قيل له السلطان على منابر بغداد .(٥)

٣ - ملكشاه (ت/ ٤٨٥) ، ولقب بالسلطان العادل .(٦)

وكانت الوزارة فى عهد ألب أرسلان وملكشاه لاشهر من عرف بالوزارة : نظام الملك .

---

(١) بقى فى الخلافة أربعا واربعين سنة وتسعة أشهر ، كان ورعا دينا كثـير الصدقة ، له علم وفضل ، من خير الخلائق لاسيما بعد عودة الخلافـــة فى نوبة البساسيرى (العبر ٢/ ٣٢٢) .

(٢) عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، بويع بالخلافة بعد جده ، مـات فجأة عن تسع وثلاثين سنة ، كان دينا خيرا ، أمر بنفى الحواظـــــى والمغنيات عن بغداد ، كانت الخلافة فى أيامه وافرة الحرمة (العـــبر ٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥) .

(٣) احمد بن المقتدى بالله ، كانت خلافته خمسا وعشرين سنة ، كان كريـــم الاخلاق ، مسارعا فى اعمال البر (العبر ٢/ ٣٩٩) .

(٤) طغـرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ودقاق أول من دخل فـــى دين الاسلام ، كان عادلا فى الجملة ، حليما كريما محافظا على الصلوات يصوم الاثنين والخميس ، ويعمر المساجد (العبر ٢/ ٣٠٤) .

(٥) محمد ألب ارسلات ، بن جفـر بيك ، وهو داود بن ميكائيل ، كان فـــى أواخر دولته من أعدل الناس ، ومن أحسنهم سيرة ، وأرغبهم فى الجهـاد وفى نصر الاسلام (العبر ٢/ ٣١٨) .

(٦) ابن السلطان ألب ارسلان ، كان حسن السيرة ، محسنا الى الرعيـــة مات بعد النظام بشهر (العبر ٢/ ٣٥٠) .

وقيام دولة السلاجقة السنية ، يعنى :

١ - قمع الرافضة ، وكسر شوكة الاعتزال .

٢ - محاربة الباطنية ، والتضيق على الفرق .

وقد قام الاشاعرة برد بدع المعتزلة والرافضة والجهمية والكرامية ، وغيرها وفضح الباطنية ، يقول ابن تيمية : فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار ورد هم ما انتفع به خلق كثير (١) .

وقد أدى اعتناق نظام الملك لعقيدة الاشاعرة الى تمكينهم واكرامهم بعد المحنة التى مرت بهم مع طغرلبك ومنعهم من الخطابة والوعظ وسبهم ، يقول الذهبى فى أحداث سنة / ٤٥٦ : وفيها قبض السلطان الب ارسلان السلجوقى على الوزير عميد الملك الكندرى ، وتفرد بوزارته نظام الملك الطوسى ، فأبطل ما كان عمله عميد الملك ووزيره من سب الأشعرية على المنابر ، وانتصر للشافعية وأكرم امام الحرمين ابا المعالى ، وابا القاسم القشيرى (٢) .

مخالفة أهل السنة للكلام عند الاشاعرة ، قال الذهبى :

قال ابن طاهر : وسمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول ، حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير نظام الملك وكان أصحابنا كلفوه الخروج اليه ، وذلك بعد المحنة ورجوعه الى وطنه من بلخ ، يعنى أنه كان قد غرب ، قال : فلما دخل عليه أكرمه وبجله ، وكان هناك أئمة من الفريقين ، فاتفقوا على أن يسألوه بين يدى الوزير

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٩٩) .

(٢) العبر (٢ / ٣٠٤) .

فقال العلوى الدبوس : يأذن الشيخ الامام ان أسأل ؟ قال : سل ، قال : لم تلعن أبا الحسن الاشعرى ؟ فسكت الشيخ ، وأطرق الوزير ، فلما كان بعد ساعة ، قال الوزير : أجبه ، فقال : لا أعرف أبا الحسن ، وانما ألعن من لم يعتقد أن الله فى السماء ، وأن القرآن فى المصحف ، ويقول : ان النبى (صلى الله عليه وسلم) اليوم ليس بنبى ، ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحدا أن يتكلم من هيبته .(١)

دولة الاشاعرة :

لذا يمكن القول ان الدولة السلجوقية ، وبعد ذهاب دولة الرافضة والاعتزال تعنى : دولة الاشاعرة ، يقول ابن تيمية : وصنف القاضى ابو يعلى كتابه فى ابطال التأويل ، رد فيه على ابن فورك شيخ القشيرى ، وكان الخليفة وغيره مائلين اليه فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتن .(٢) والقشيرى هو : عبد الكريم ابن هوازن ، تفقه على ابن فورك ، ونظر فى تصانيف ابن الباقلانى ، وحج مع الامام ابن محمد الجوينى شيخ خراسان فى التصوف ، لكنه يعرف الاصول على مذهب الأشعرى .(٣)

---

(١) سير اعلام النبلاء (١٨ / ٥١١) .
(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٥٤) .
(٣) سير اعلام النبلاء (١٨ / ٢٢٧) .

ثانيـــا :

الفـــرق فـــى القـــرن الخامـــــس

وتمكين مذهب الاشاعرة فى القرن الخامس ترتب عليه أمران هـامان :

الأول : اشتهار مذهب الاشاعرة ، وانتشاره فى أمصار الاسلام ، خصوصا بعـد حمل الناس عليه فى دولة بنى أيوب ، وفى دولة ابن تومرت .

الثانى: دخول الكلام المذموم الى الناس باسم أهل السنـة .

أ - اشتهار مذهب الاشاعرة ، وانتشاره فى أمصار الاسلام :

يقول المقريزى : فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر ، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب ، قد نشأ عليه منذ كانا فى خدمة السلطان الملك العـادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، وحفظ صلاح الدين فى صباه عقيدة ألفهالـه قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى ، وصار يحفظها صغار أولاده ، فكذلك عقدوا الخناصر ، وشدوا البنان على مذهب الاشعـرى وحملوا فى أيام دولتهم كافة الناس على التزامه ، فتمادى الحال على ذلك جميـع أيام الملوك من بنى أيوب ، ثم فى أيام مواليهم الملوك الاتراك[1] ، واتفق مع ذلـك توجه أبى عبد الله محمد بن تومرت ، أحد رجالات المغرب الى العراق ، وأخـذ عن أبى حامد الغزالى مذهب الأشعرى ، فلما عاد الى بلاد المغرب ، وقام فـى المصادرة يفقههم ويعلمهم ، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم ، ثم مات ، فخلفـه بعد موته المؤمن بن على القيسى ، وتلقب بأمير المؤمنين ، وغلب على ممالك الغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين ، وتسموا بالموحدين ، فلذلك صارت دولة الموحدين

---

(١) كان هذا بصفة عامة ، وإلا فما كانت كدولة أيام الكامل والمعظم ، فقد كانا على عقيدة الطحاوى ، ولقد كانت كذلك أيام الأشرف موسى بعد العادل (البداية والنهاية ١٣/ ١٧١ - ١٧٩).

ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ، اذ هو عندهم الامام المعلوم المهدى المعصوم ، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها الا الله خالقها سبحانه وتعالى ، كما هو معروف فى كتب التاريخ ، فكان هذا هو السبب فى اشتهار مذهب الاشعرى ، وانتشاره فى أمصار الاسلام ، بحيث نسى غيره من المذاهب وجهل .(١)

ب - دخول الكلام المذموم الى الناس باسم أهل السنة :

ولم يكن ذلك مرة واحدة ، وانما كان على مراحل :

١- فالاشعرى ما كان ينتسب الا الى مذهب اهل الحديث ، واماميهم عنده أحمد بن حنبل ، يقول ابو الحسن فى الابانة : فان قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ؟ . قيل له : قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التى ندين بها : التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم)، وما روى عن السادة ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى ابان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم .(٢)

---

(١) الخطط (٣٠٦/٣) .

(٢) الابانة عن اصول الديانة (٢٠/٢ - ٢١) .

(أى : الماتريدى والأشعرى) (أى : الأشعرى)

يقول ابن تيمية : وكانوا قديما متقاربين ، الا ان فيهم من ينكر عليه كما قد ينكرونه على من خرج منهم الى شئ من الكلام ، لما فى ذلك من البدعة ، مع أنه فى أصل مقالته ليس على السنة المحضة ، بل هو مقصر عنها تقصيرا معروفا (١) .

٢- ثم انتسب اليه جماعات على طبقات :

فمن المنتسبين اليه من الطبقة الأولى : ابو الحسن الباهلى ، وابوبكر القفال الشاش ، وابو جعفر السلمى البغدادى النقاش ، ومن الطبقة الثانية القاضى ابو بكر بن الطيب بن الباقلانى ، وابو على الدقاق النيسابورى شيخ ابى القاسم القشيرى ، وابن فورك ، والاسفراينى ، وابو نعيم الاصفهانى ومن الطبقة الثالثة : البيهقى ، ومن الطبقة الرابعة : ابوالقاسم القشيرى والجوينى (٢) .

٣- وقد تفاوت دخول الكلام فى كل طبقة من هذه الطبقات حتى تغلظ فى القرن الخامس على يد الجوينى (٣) ، يقول ابن تيمية :

فالاشعرية وافق بعضهم فى الصفات الخبرية ، وجمهورهم وافقهم فى الصفات الحديثية ، وأما فى الصفات القرآنية فلهم قولان : فالاشعرى والباقلانى

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٥٣) .

(٢) تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الاشعرى (١٧٨ - ٢٧٨).

(٣) يقول ابو سعد السمعانى : كان ابو المعالى امام الأئمة على الاطلاق مجمعا على امامته شرقا وغربا ، لم تر العيون مثله ، كان يتردد الى مدرسة البيهقى ، واحكم الاصول على ابى القاسم الاسفراييني ، ويقول الذهبى : كان هذا الامام مع فرط ذكائه وامامته فى الفروع واصول المذهب وقوة مناظرته ، لا يدرى الحديث كما يليق به لا متنا ولا اسنادا توفى سنة / ٤٧٨ . سير اعلام النبلاء (١٨/٤٧١ - ٤٧٦) .

وقد ماؤهم يثبتونها ، وبعضهم يقر بعضها ، وفيهم تجهم من جهة أخرى

فان الاشعرى شرب كلام الجبائى شيخ المعتزلة ، ونسبته فى الكلام اليه

متفق عليها عند أصحابه وغيرهم ، وابن الباقلانى[1] اكثر اثباتا بعد الاشعرى

فى الابانة ، وبعد ابن الباقلانى ابن فورك[2] ، فانه اثبت بعض ما فى القرآن

وأما الجوينى ومن سلك طريقته ، فمالوا الى مذهب المعتزلة[3] ، فان

ابا المعالى كان كثير المطالعة لكتب ابى هاشم ، قليل المعرفة بالآثار ، فأثر

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد ، ابوبكر القاضى ، المتكلم على مذهب الاشعرى من أهل البصرة . . كان ثقة ، فأما علم الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرا ، وأجودهم لسانا ، واوضحهم بيانا ، واصحهم عبارة . مات سنة ثلاث وأربعمائة (تبيين كذب المفترى / ٢١٧ - ٢٢٣) .

(٢) محمد بن الحسن الاصبهانى ، شيخ المتكلمين ، حدث عنه البيهقى والقشيرى ، كان شديد الرد على ابن كرّام ، كان اشعريا ، رأسا فى الكلام ، أخذ عن ابى الحسن الباهلى صاحب الاشعرى ، نقل ابوالوليد الباجى ان السلطان محمودا سأله فى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : كان رسول الله ، وأما اليوم فلا ، فأمر بقتله بالسم ، وقال ابن حزم كان يقول ان روح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد بطلت وتلاشت وما هى فى الجنة . توفى سنة / ٤٠٦ (سير اعلام النبلاء ١٧ / ٢١٤) .

(٣) قال المازرى فى شرح البرهان (البرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان : انظر مقدمة الابانه ١ / ٤٥) فى قوله : ان الله يعلم الكليات لا الجزئيات ، وددت لو محوتها بدمى ، قال الذهبى : هذه هفوة اعتزال ، هجر ابو المعالى عليها ، وحلف أبو القاسم القشيرى لا يكلمه ونفى بسببها ، فجاور وتعبد ، وتاب ولله الحمد منها ، كما انه فى الآخر رجح مذهب السلف فى الصفات وأقره .

(سير اعلام النبلاء ١٨ / ٤٧٢) .

فيه مجموع الامرين ، والقشيرى[1] تلميذ ابن فورك ، فلهذا تغلظ مذهب الاشعرى من حينئذ ، ووقع بينه وبين الحنبلية تنافر بعد ان كانوا متوالفين أو متسالمين .[2]

٤- ولقد تغلظ المذهب بعد ذلك اكثر واكثر من المنتسبين اليه : كالغزالى فى القرن السادس ،[3] والرازى فى القرن السابع[4]

---

(١) عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك ، تفقه على الاسفراييني وابن فورك حج مع الجويني والبيهقي ، نظر فى تصانيف ابن الباقلانى وتردد على السلمى وعاشره ، كان عديم النظير فى السلوك والتذكير ، لطيف العبارة طيب الاخلاق ، غواصا على المعانى ، صنف : لطائف الاشارات ، كان ثقة ، حسن الوعظ مليح الاشارة ، يعرف الاصول على مذهب الاشعرى والفروع على مذهب الشافعى ، توفى سنة خمس وستين واربع مئة .
(سير اعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢) .

(٣) يقول ابن تيمية : والغزالى فى كلامه مادة فلسفية كبيرة ، بسبب كلام ابن سينا فى الشفا وغيره ، ورسائل اخوان الصفا ، وكلام ابن حيان التوحيدى واما المادة المعتزلية فى كلامه فقليلة أو معدومة... وكلامه فى الاحياء غالبه جيد ، لكن فيه موارفاسدة : مادة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة من ترهات الصوفية ، ومادة من الاحاديث الموضوعة (مجموع الفتاوى ٦/ ٥٤ - ٥٥) .

(٤) يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٥/ ٥٦١) : وصار طائفة أخرى . كالرازى والآمدى وغيرهما ، يصنفون الكتب الكلامية ، فينصرون فيها ما ذكره المتكلمون المبتدعون من أهل الملة من حدوث العالم بطريقة المتكلمين المبتدعة هذه ، وهو امتناع حوادث لا أول لها ، ثم يصنفون الكتب الفلسفية كتصنيف الرازى : المباحث الشرقية ونحوها ، ويذكر فيها ما احتج به المتكلمون على امتناع حوادث لا أول لها ، وان الزمان والحركة والجسم لها بداية ، ثم ينقض ذلك كله ، ويجيب عنه ، ثم يقرر حجة من قال : ان ذلك لا بداية له .

والايجى فى القرن الثامن .[1]

ولقد قيض الله تعالى فى كل قرن من يرد على أهل الكلام ، فكان السمعانى من نجوم هذا القرن .

الكلام ، وكتاب الارشاد للجوينى :

ويلاحظ بصفة عامة استخدامه لاسلوب أهل الكلام من المعتزلة ، وغيرهم مع استعماله لمصطلحاتهم ، يقول عند القول فى حدوث العالم : العالم : جواهر وأعراض ، فالجوهر هوالمتميز ، وكل ذى حجم متميز ، والعرض هو المعنى القائم بالجوهر : كالالوان والطعوم والروائح ، والحياة والموت ، والعلوم والارادات والقدر القائمة بالجواهر .. والجسم فى اصطلاح الموحدين المتألف ، فاذا تألف جوهران كانا جسما ، اذ كل واحد مؤتلف مع الثانى .[2]

يقول الامام احمد فى وصفه لاهل البدع : هم مختلفون فى الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مفارقة الكتاب ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم .[3]

يقول ابن تيمية : فالسلف والأئمة ، لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ : الجوهر ، والعرض ، والجسم وغير ذلك ، بل لأن المعانى التى

---

(١) يقول د . تهامى نقرة : (الاتجاهات السنية والمعتزلية فى تأويل القرآن ٧٥) : ثم توغل المتكلمون فى كتب الفلسفة ، واختلطت عندهم مسائل الكلام بحيث لا يكاد يتميز احدهما عن الآخر ، كما فعل البيضاوى (ت/٦٩٠) فى الطوالع ، وعضد الدين الايجى (ت/ ٧٥٦) فى المواقف .

(٢) الارشاد الى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد / ٣٩ .

(٣) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ٥٤ - ٥٥) .

يعبرون عنها بهذا العبارات فيها من الباطل المذموم فى الأدلة ما يجب النهى عنه ، لاشتمال هذه الالفاظ على معان مجملة فى النفى والاثبات[1] . ويقول : وأيضا فان المناظرة بالالفاظ المحدثة المجملة المبتدعة المحتملة للحق والباطل اذا أثبتها أحد المتناظرين ونفاها الآخر ، كان كلاهما مخطئا ، واكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ، وفى ذلك من فساد العقل والدين مالا يعلم الا الله ، فاذا رد الناس ما تنازعوا فيه الى الكتاب والسنة ، فالمعانى الصحيحة ثابتة فيهما ، والمحق يمكنه بيان ما يقوله من الحق بالكتاب والسنة ، ولو كان الناس محتاجين فى أصول دينهم الى ما لم يبينه الله ورسوله لم يكن الله قد أكمل للأمة دينهم ، ولا أتم عليهم نعمته ، فنحن نعلم ان كل حق يحتاج الناس اليه فى أصول دينهم لابد ان يكون مما يبينه الرسول ، اذ كانت فروع الدين لا تقوم الا بأصوله ، فكيف يجوز أن يترك الرسول اصول الدين التى لا يتم الايمان الا بها لا يبينها للناس ، ومن هنا يعرف ضلال من ابتدع طريقا أو اعتقادا زعم ان الايمان لا يتم الا به ، مع العلم بأن الرسول لم يذكره[2] .

يقول السمعانى : وقالوا أيضا ، وهو الاصل الذى يؤسسه المتكلمون والطريق الذى يجعلونه قاعدة علومهم ، وربما قالوا ، من لم يحكم هذا الأصل ، لم يمكنه اثبات حدوث العالم ، وذلك مسألة العرض والجوهر واثباتهما ، فانهم قالوا : ان الاشياء لا تخلو من ثلاثة أوجه : اما أن يكون جسما أو عرضا أو جوهرا فالجسم ما اجتمع من الافتراق ، والجوهر ما احتمل الاعراض ، والعرض مالا يقوم

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ٥٤ - ٥٥) .

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ١٧٩) .

بنفسه ، وانما يقوم بغيره ، وجعلوا الروح من الأعراض ، وردوا أخبار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى خلق الروح قبل الجسد لانه لم يوافق نظرهم وأصولهم واختراعهم ، وردوا خبره (صلى الله عليه وسلم) فى خلق العقل قبل الخلق ، وانما ردوا هذه الأخبار لان العقل عندهم عرض كالروح ، والروح لا يقوم بنفسه ، فردوا الاخبار بهذا الطريق ، وكذلك ردوا الخبر الذى روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ان الموت يذبح على الصراط لان الموت عرض لا ينفرد بنفسه .(١)

كما يلاحظ فى أبواب الكتاب ابتداع كثير من الأقوال : كوجوب النظر ، وتقديم العقل على النقل وعدم افادة اخبار الاحاد للعلم :

١- وجوب النظر :

يقول فى صدر كتابه : أول ما يجب على العاقل البالغ ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا ، القصد الى النظر الصحيح المفضى الى العلم بحدوث العالم.(٢)

يقول السمعانى : وعلى انا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين ، وثلج الصدر ، وسكون القلب ، وانما انكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا فانهم قالوا أول ما يجب على الانسان النظر المؤدى الى معرفة البارى عز وجل ، وهذا قول مخترع لم يسبقهم اليه أحد من السلف وأئمة الدين ، ولو أنك تدبرت جميع أقوالهم وكتبهم لم تجد هذا فى شئ منها :

---

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام /١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) الارشاد / ٢٥ .

لا منقولا من النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ولا من الصحابة ، وكذلك من التابعين بعده ، وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدر هذه الأمة ، والسفراء بيننا وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولئن جاز أن يخفى الفرض الأول على الصحابة والتابعين حتى لم يبينوه لاحد فى هذه الأمة مع شدة اهتمامهم بأمر الدين وكمال عنايتهم حتى استخرجه هؤلاء بلطيف فطنتهم فى زعمهم، فلعله خفى عليهم فرائض أخر ، ولئن كان هذا جائزا ، فلقد ذهب الدين فاندرس لأنا نبنى اقوالنا على أقوالهم ، فاذا ذهب الأصل ، فكيف يمكن البناء عليه ، نعوذ بالله من قول يؤدى الى هذه المقالة الفاحشة القبيحة التى تؤدى الى الانسلاخ من الدين وتضليل الأئمة الماضين ، هذا وقد تواترت الاخبار ان النبى (صلى الله عليه وسلم) كان يدعو الكفار الى الاسلام والشهادتين ، قال (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ (رضى الله عنه) حين بعثه الى اليمن : ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضا : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله .. ومثل هذا كثير ، ولم يرد عنه انه دعاهم الى النظر والاستدلال ...[1]

٢ - تقديم العقل على النقل عند التعارض :

يقول بعد مقدمة كلامية طويلة فى السمعيات : فاذا ثبتت هذه المقدمة فيتعين بعدها على كل معتن بالدين واثق بعقله ، ان ينظر فيما تعلقت به الأدلة السمعية ، فان صادفه غير مستحيل فى العقل ، وكانت الأدلة السمعية قاطعة

---

(١) صون المنطق / ١٧١ - ١٧٢ .

فى طرقها لا مجال للاحتمال فى ثبوت أصولها ولا فى تأويلها ، فما هـــذه سبيله فلا وجه الا القطع به ، وان لم تثبت الادلة السمعية بطرق قاطعة ، ولم يكن مضمونها مستحيلا فى العقل وثبت أصولها قطعا ولكن طريق التأويل يجول فيها فلا سبيل الى القطع . . وان كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفا لقضية العقل ، فهو مردود قطعا بأن الشرع لا يخالف العقل ، ولا يتصور فى هـــذا القسم ثبوت سمع قاطع ، ولاخفاء به .(١)

يقول السمعانى : واعلم ان فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقـــل فانهم أسسوا دينهم على المعقول ، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقـــول وأما أهل السنة ، قالوا : الأصل فى الدين الاتباع والمعقول تبع ، ولو كان اساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحى ، وعن الأنبياء (صلوات اللـه عليهم) ، ولبطل معنى الامر والنهى ، ولقال من شاء ما شاء ، ولو كان الديـن بنى على المعقول ، وجب ان لا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلـــوا ونحن اذا تدبرنا عامة ما جاء فى أمر الدين من ذكر صفات الله عز وجل وما تعبد الناس من اعتقاده ، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم ، ونقلوه عـــن سلفهم الى أن أسندوه الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ذكر عـــذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط وصفات الجنة وصفات النار ، وتخليد الفريقين فيهما : أمور لا تدرك حقائقها بعقولنا ، وانما ورد الامر بقبولهـــا والايمان بها ، فاذا سمعنا شيئا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه ، فلله الحمـــد فى ذلك والشكر ومنه التوفيق ، وما لم يمكنا ادراكه وفهمه ، ولم تبلغه عقولنا آمنـا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربو بيته وقدرته واكتفينا فى ذلك بعلمه ومشيئته . .(٢)

---

(١) الارشاد / ٣٠٢ .
(٢) صون المنطق / ١٨٢ .

٣ - عدم افادة اخبار الاحاد للعلـــم :

يقول الجويني : وكل خبر لم يبلغ مبلغ التواتر فلا يفيد علما بنفسه ، الا أن يقترن به ما يوجب تصديقه : مثل ان يوافق دليلا عقليا ، أو تؤيده معجزة ، أو قـــول مؤيد بمعجزة تصدقه ، وكذلك اذا تلقت الأمة خبرا بالقبول ، وأجمعوا على صدقه فنعلم صدقه ، فان فقد ما ذكرناه ، ولم يكن الخبر متواترا ، فهي المسمى ، خـــبر الواحد في اصطلاح المتكلمين ، وان نقله جمع .(١)

فالحديث المتفق عليه عند الجويني من أخبار الاحاد ، ففي باب الاسمـــاء والأحكام ، ذهب الى الارجاء في تعريف الايمان ، فقال : والمرضي عندنـا أن حقيقة الايمان التصديق بالله تعالى ، ورد أدلة القائلين بان مسمى الاعمـــال من الايمان ، ومن رده : وقد يستدلون بما روى عن النبي (صلى الله عليـــه وسلم) : الايمان بضع وتسعون خصلة : أولها شهادة لا اله الا الله ، وآخرها اماطة الأذى عن الطريق .(٢) قال : وأما الحديث ، فهو من الاحاد ثم هو مؤول والعرب تسمي الشئ باسم الشئ اذا دل عليه ، أو كان فيه بسبب .(٣) والحديث متفق عليه تلقته الأمة بالقبول ! .

يقول السمعاني : ان الخبر اذا صح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورواه الثقات والأئمة واسنده خلفهم عن سلفهم الى رسول الله (صلى الله عليـــه وسلم) وتلقته الأمة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم ، هذا عامة قـــول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة ، وانما هذا القول الذي يذكـر

---

(١) الارشاد / ٣٥١ .

(٢) هكذا بالاصل ، والحديث متفق عليه (صحيح البخاري ١ / ٥١ ، وصحيح مسلـــم ١ / ٦٣) ، ورواية مسلم : " الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه " .

(٣) الارشاد / ٣٣٥ .

أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به ، شئ اخترعته القدرية والمعتزلة ، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم فى العلم قدم ثابت ، ولم يقفوا على مقصودهم فى هذا القول . .(١)

وكما خالف الجوينى أئمة السنة فى عصره ، خالف الاشعرى نفسه فى كثير من الأبواب . :

فعند قوله تعالى :" الرحمن على العرش استوى " (طه/ ٥) حمل الاستواء فى الآية الكريمة على القهر والغلبة ، قال : وذلك شائع فى اللغة ، اذ العرب تقول استوى فلان على الممالك اذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرقاب .(٢)

فى حين ان الاستواء عند الاشعرى على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، قال : وهو فوق العرش ، وفوق كل شئ الى تخوم الثرى ، فوقيه لا تزيده قربا الى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما انه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شئ شهيد .(٣)

وقد اثبت الاشعرى الصفات الخبرية بلا كيف ، يقول فى بيان معتقده : وان له سبحانه وجها بلا كيف ، كما قال : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام" (الرحمن ٢٧) وان له سبحانه يدين بلاكيف ، كما قال سبحانه : " خلقت بيدى " (ص ٧٥) ، وكما قال : " بل يداه مبسوطتان " (المائدة ٦٤) ، وان له سبحانه عينين بلا كيف كما قال سبحانه " تجرى باعيننا " (القمر ١٤) .(٤)

---

(١) صون المنطق / ١٦٠ - ١٦١ .
(٢) الارشاد / ٥٩ .
(٣، ٤) الابانة (٢/ ٢١ - ٢٢) .

فى حين أن الجوينى أول من اشتهر عنه القول من الاشاعرة بنفيها ، يقول ابن تيمية : والاشعرى وأئمة أصحابه ، كأبى الحسن الطبرى ، وابى عبد الله بن مجاهد الباهلى والقاضى ابى بكر ، متفقون على اثبات الصفات الخبرية التى ذكرت فى القرآن : كالاستواء ، والوجه واليد ، وابطال تأويلها ، ليس له فى ذلك قولان أصلا ، ولم يذكر أحد عن الاشعرى فى ذلك قولين أصلا ، بل جميع من يحكى المقالات من أتباعه وغيره يذكر أن ذلك قوله ، ولكن لاتباعه فى ذلك قولان ، وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالى الجوينى ، فانه نفى الصفات الخبرية ، وله فى تأويلها قولان ، ففى الارشاد أولها ، ثم انه فى الرسالة النظامية رجع عن ذلك وحرم التأويل ، وبين اجماع السلف على تحريم التأويل ، واستدل بذلك على أن التأويل محرم ، ليس بواجب ولا جائز ، فصار من سلك طريقته ينفى الصفات الخبرية ، ولهم فى التأويل قولان ، وأما الاشعرى وأئمة أصحابه فانهم مثبتون لها ، يردون على من ينفيها أو يقف فيها ، فضلا عمن يتأولها .(١)

وبعد ، فهل لاهل الكلام ابلغ من عود امام الحرمين الى أحضان السنة ، وندمه ونهيه عن الاشتغال بالكلام ، يقول الذهبى : قرأت بخط ابى جعفر ايضا : سمعت ابا المعالى يقول : قرأت خمسين الفا فى خمسين ألفا ، ثم خليت أهل الاسلام باسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة ، وركبت البحر الخضم ، وغصت فى الذى نهى أهل الاسلام ، كل ذلك فى طلب الحق ، وكنت أهرب فى سالف الدهر من التقليد والان فقد رجعت الى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز ، فان لم يدركنى الحق بلطيف بره ، فأموت على دين العجائز ، ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل على كلمة الاخلاص : لا اله الا الله ، فالويل لابن الجوينى(٢) . قال ابو الفتح الطبرى الفقيه :

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ٣١٥) .
(٢) سير اعلام النبلاء (١٨ / ٤٧١ - ٤٧٤) .

دخلت على ابى المعالى فى مرضه ، فقال : اشهدوا علىّ أنى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة ، وأنى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[1] . رحمه الله .

سبب ذم السلف للكلام وأهله :

يقول ابن تيمية : وقد ظن طائفة من الناس أن ذم السلف والأئمة الكلام وأهل الكلام كقول ابى يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق ، وقول الشافعى : حكمى فى أهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام ، وقوله : لقد اطلعت من أهل الكلام على شئ ما كنت أظنه ، ولان يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الاشراك بالله ، خير من أن يبتلى بالكلام ، وقول الامام أحمد : ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ، وقل أحد نظر فى الكلام الا كان فى قلبه غل على أهل الاسلام وأمثال هذه الأقوال المعروفة عن الأئمة ، ظن بعض الناس أنهم انما ذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المحدثة ، كلفظ الجوهر والجسم والعرض ، وقالوا : ان مثل هذا لا يقتضى الذم ، كما لو أحدث الناس آنية يحتاجون اليها أو سلاحا يحتاجون اليه لمقاتلة العدو ، وقد ذكر هذا صاحب الاحياء وغيره ، وليس الأمر كذلك ، بل ذمهم للكلام لفساد معناه أعظم من ذمهم لحدوث ألفاظه ، فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة ، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل قطعا ، ثم من الناس من قد يعلم بطلانه بعقله ، ومنهم من لا يعلم ذلك[2] . ويقول فى موضع آخر : وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم السلف والأئمة لا قاموا بكمال الايمان ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون اقواما من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق

---

(١) سير اعلام النبلاء (١٨ / ٤٧١ - ٤٧٤) .
(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ١٧٨ - ١٧٩) .

لا يتم الا برد بعض ما جاء به الرسول ، وهى لا تقطع اولئك الكفار بالمعقول فلا آمنوا بما جاء به الرسول حق الايمان ، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد[1] .

ويقول السمعانى : واعلم أن الأئمة الماضين وأولى العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام ، وهذا النوع من النظر عجزا عنه ، ولا انقطاعا دونه ، وقد كانوا ذوى عقول وافرة وأفهام ثاقبة ، وقد كانت هذه الفتن قد وقعت فى زمانهم وظهرت ، وانما تركوا هذه الطريقة واضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وعلموه من سوء عاقبتها وسئ مغبتها ، وقد كانوا على بيّنة من أمورهم وعلى بصيرة من دينهم ، لما هداهم الله بنوره ، وشرح صدورهم بضياء معرفته فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته ، وتوقيف السنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها ، وأن الحجة قد وقعت وتمت بهما ، وأن العلة والشبهة قد أزيحت بمكانهما[2] .

سبب انتشار مذهب الاشاعرة :

يقول ابن تيمية : ولهذا وافقهم - يعنى الاشاعرة - فى بعض ما ابتدعوه كثير من اهل الفقه ، والحديث ، والتصوف ، لوجوه :

احدها : كثرة الحق الذى يقولونه ، وظهور الاثارة النبوية عندهم .

الثانى : لبسهم ذلك بمقاييس عقلية : بعضها موروث عن الصابئة ، وبعضها مما ابتدع فى الاسلام ، واستيلاء ما فى ذلك من الشبهات عليهم ، وظنهم انه لم يمكن التمسك بالاثارة النبوية من اهل العقل والعلم الا على هذا الوجه .

الثالث : ضعف الاثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات ، والموجبة لسبيل الهدى عندهم .

---

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١ / ٢٧٩) .
(٢) صون المنطق / ١٥٥ - ١٥٦ .

الرابع : العجز والتفريط الواقع فى المنتسبين الى السنة والحديث ، تارة يروون ما لا يعلمون صحته ، وتارة يكونون كالاميين الذين لا يعلمون الكتاب الا أمانى ، ويعرضون عند بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور (١) .

تعريف موجز ببعض الفرق :

وبعد أن انتهينا من دولة الاشاعرة التى اختص بها القرن الخامس ، ثم انتشرت من بعده واستمرت الى وقتنا هذا ، نوجز ذكر بعض الفرق التى لم يختص بها هذا هذا القرن ، من دون ما قبله أو ما بعده ، ونكتفى بابرزها :

١ ، ٢ ، ٣ - الشيعة والمعتزلة والباطنية ، وهى الفرق التى كان لها صولة فى دولة الرافضة البويهية .

٤ - الكرامية ، وهى الوجه المقابل للاعتزال .

٥ - المرجئة ، لدخولها فى أقوال الاشاعرة .

٦ - الخوارج ، وهى الوجه المقابل للتشيع .

١- الشيعة :

وقيل لهم الشيعة ، لانهم شايعوا عليا (رضوان الله عليه) ، ويقدمونه على سائر اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهم ثلاثة اصناف :

أ - الغالية : لانهم غلوا فى على وقالوا فيه قولا عظيما .

ب - الرافضة : وانما سموا رافضة ، لرفضهم امامة ابى بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبى (صلى الله عليه وسلم) نص على استخلاف على بن ابى طالب باسمه ، واظهر ذلك واعلنه ، وان اكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٣٣) .

ومنكرات أعظم من أن تذكر فى هذا المختصر .[١]

٢- المعتزلـــــة :

للمعتزلة اصول خمسة ، يقولون : يلزم على المكلف معرفتها ، وهى : التوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهـــى عن المنكر .[٢]

يقول ابن تيمية : والتوحيد عندهم يتضمن نفى الصفات ، والعدل عندهـــم يتضمن التكذيب بالقدر ، وهو خلق أفعال العباد وارادة الكائنات والقدرة علـــى شئ ، ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب ، والمنزلة بين المنزلتين فهى عندهم : ان الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا ، فنزلوه بين منزلتين وانفاذ الوعيد معناه ان فساق الملة مخلدون فى النار لا يخرجون منها بشفاعـــة ولا غير ذلك كما تقول الخوارج ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر يتضمن عندهم : جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف[٣] .

القاب المعتزلـــــة :

وقد لقبت المعتزلة بالجهمية لنفيها للصفات ، ولقبت بالقدرية لاسنادهـــم افعال العباد لقدرهم : يقول ابن تيمية : لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات فى أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ، ودعـــــوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى ، وطلبوا أهل السنة للمناظرة ، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط ، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجاريه

---

(١) انظر : فضائح الباطنية للغزالى ، ومختصر التحفة الاثنى عشرية للدهلوى .
(٢) شرح الاصول الخمسة / ١٢٢ .
(٣) دقائق التفسير (٦ / ٨٧) .

والضرارية وأنواع المرجئة ، فكل معتزلى جهمى ، وليس كل جهمى معتزليا ، لكن جهم أشد تعطيلا ، لأنه ينفى الأسماء والصفات ، وبشر المريسى كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة ، بل كان من كبار الجهمية .(١)

ويقول الشهرستانى : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية والعدلية .(٢) قال ابن الاثير : سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا أن تكون الاشياء بقدر الله وقضائه وقد قالوا لمخالفيهم أنتم الأولى بتسمية القدرية ، لأنكم تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله ، ومثبت الشئ أحق بالنسبة اليه من نافيه ، فأجابهم المثبتون : بأن مثبت الشئ لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه .(٣)

الحكم على الجهمية :(٤)

يقول ابن تيمية : والجهمية عند كثير من السلف : مثل عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط ، وطائفة من أصحاب الامام احمد وغيرهم : ليسوا فى الثنتين والسبعين فرقة التى افترقت عليها هذه الأمة ، بل أصول هذه عند هؤلاء : هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية ، وهذا المأثور عن أحمد ، وهو المأثور عن عامة أئمة الحديث انهم كانوا يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر ، ونحو ذلك .(٥)

---

(١) منهاج السنة .
(٢) الملل والنحل / ٤٣ .
(٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة / ٧٢ .
(٤) اى : من يقولون بمقالة الجهمية ويعنى بها هنا : نفى الصفات - والجهم هو ابن صفوان السمرقندى الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك فى زمان صغار التابعين بعد ان زرع شرا عظيما (ميزان الاعتدال ١ / ٤٢٦) .
(٥) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨٦ - ٤٨٧) .

٣ - الباطنيـــة :

وهم من غلاة الشيعة الملاحدة ، استتروا بالتشيع ليدخلوا به على عوام المسلمين ليخرجوهم الى انكار الخالق ، وتكذيب الرسل ، وجحد الحشر والنشر والمعاد (١) .

الباعث على الباطنيـــة :

يقول الغزالى : مما تطابق عليه نقله المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لـــم يفتتحها منتسب الى ملة ، ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة ، فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين ، ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزركية ، وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من ملحـــدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأى فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين ، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين . . فقالوا : ولا سبيل الى استنزالهم عما أصروا عليه الا بمكر واحتيال ، ولو شافهناهم بالدعاء الى مذهبنا لتنمروا علينا ، وامتنعوا من الاصغاء الينا (٢) .

الرافضـــة باب الباطنيـــة :

قالوا : فسبيلنا أن نتحـــل عقيدة طائفة من فرقهم هى اركهم عقولا ، واسخفهم رأيا وألينهم عريكة لقبول المحالات ، وأطوعهم للتصديق بالاكاذيب المزخرفات وهم الروافض ، ونتحصن بالانتساب اليهم والاعتزاء الى أهل البيت عن شرهم ، ونتودد اليهم بما يلائم طبعهم : من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والـــذل الهائل ، ونتباكى لهم على ما حل بآل محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ونتوصل بـه

---

(١) انظر : فضائح الباطنيـــة / ١٨ .

(٢) فضائح الباطنية / ١٨ - ١٩ .

الى تطويل اللسان فى أئمة سلفهم الذين هم أسوتهم وقدوتهم ، حتى اذا قبحنا أحوالهم فى أعينهم ، وما ينقل اليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم باب الرجوع الى الشرع ، وسهل علينا استدراجهم الى الانخلاع عن الدين ، وان بقى عندهم معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الاخبار أوهمنا عندهم أن تلك الظواهر لها اسرار وبواطن ، وان أمارة الاحمق الانخداع لظواهرها ، وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها ، ثم نبث اليهم عقائدنا ، ونزعم أنها المراد بظواهر القرآن ، ثم اذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز الى هؤلاء ، والتظاهر بنصرهم .

ثم قالوا : طريقنا أن نختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب ، ونزعم أنه من أهل البيت ، وأنه يجب على كافة الخلق مبايعته ، وتتعين عليهم طاعته ، فانه خليفة رسول الله ، ومعصوم عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى .(١)

مقصدهم :

ومقصدهم بذلك كله الملك والاستيلاء والتبسط فى أموال المسلمين وحريمهم والانتقام منهم فيما اعتقدوه فيهم وعاجلوهم به من النهب والسفك ، وافاضوا عليهم من فنون البلاء .(٢)

القابهم : منها :(٣)

١- الباطنية ، لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشرة .

٢- القرامطة ، نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له : حمدان قرمط .

(١، ٢) فضائح الباطنية / ١٩ - ٢٠ .

(٣) انظر : فضائح الباطنية / ١١ - ١٧ .

٣- الخرّمية : نسبة الى حامل مذهبهم وزبدته ، فانه راجع الى طى بساط التكليف ، وحل اعباء الشرع عن المتعبدين ، وتسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات ، وقضاء الوطر من المباحات والمحرمات . و (خرّم) : لفظ اعجمى ينبئ عن الشئ المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان اليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته .

٤- البابكية ، نسبة الى رجل منهم بايعوه يقال له بابك الخرّمى ، وكان خروجه فى بعض الجبال بناحية اذربيجان فى ايام المعتصم ، ويقال : ان لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم وشموعهم ، ثم يتناهبون النساء فيثب كل رجل الى امرأة فيظفر بها ، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد ، فان الصيد من أطيب المباحات .

٥- الاسماعيلية ، نسبة الى زعيمهم محمد بن اسماعيل ، ويزعمون ان ادوار الامامة انتهت به .

بنو عبيد :

وبنو عبيد من القرامطة الباطنية ، وعداوتهم للاسلام أعظم من عداوة التتار (١) .

مكانة الباطنية من بين فرق الكفر :

يقول ابن تيمية : النصيرية وسائر اصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل ومن اكثر المشركين . وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين : مثل كفار التتر والافرنج وغيرهم (٢) .

(١، ٢) انظر : مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٣٩ - ١٥٩) .

٤- الكراميـــة :

نسبة الى محمد بن كرام السجستانى العابد المتكلم ، وله اتباع ، مريـــدون واشتهر عنه القول بالارجاء ، وسيأتى ، وبالتجسيم ، وهو ما اشتهرت به ، فمـن بدعهم قولهم فى المعبود : انه جسم لا كالاجسام (١) . وكان ذلك بسبب الخوض فى الكلام ، يقول ابن تيمية : وحدث مع الجهمية قوم شبهوا الله تعالى بخلقـه فجعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين ، فأنكر السلف والأئمة على الجهميـــة المعطلة ، وعلى المشبهة الممثلة ، وكان امام المعتزلة ابوالهذيل العلاف ، ونحوه من نفاة الصفات ، قالوا : يقتضى أن يكون جسما والله تعالى منزه عن ذلـــك قال هؤلاء : بل هو جسم ، والجسم هو القائم بنفسه أو الموجود أو غير ذلك مـــن المقالات . . وجاء محمد بن كلاب ، فقال هو واتباعه : هو الموصوف بالصفـــات ولكن ليست الصفات اعراضا ، اذ هى قديمة باقية لا تعرض ولا تزول ، ولكـــن لا يوصف بالافعال القائمة به كالحركات ، لانها تعرض وتزول . فقال ابن كرام واتباعه : لكنه موصوف بالصفات ، وان قيل انها اعراض ، وموصوف بالافعال القائمة بنفســـه وان كانت حادثة ، ولما قيل لهم : هذا يقتضى ان يكون جسما ، قالوا : نعم هـو جسم كالاجسام ، وليس ذلك ممتنعا دائما ، وانما الممتنع ان يشابه المخلوقات فيما يجب ويجوز ويمتنع ، ومنهم من قال : اطلق لفظ الجسم لا معناه .

يقول ابن تيمية : وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيمـــا ابتدعوه من نفى أو اثبات ، بل اعتصموا بالكتاب والسنة ، وراوا ذلك هو الموافـق لصريح العقـل ، فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقـا

---

(١) ميزان الاعتدال (٤ / ٢١) ، مات بالشام فى سنة خمس وخمسين ومائتين .

يجب الايمان به ، وان لم تعرف حقيقة معناه ، وكل لفظ أحدثه الناس فأثبته قوم ونفاه آخرون فليس علينا أن نطلق اثباته ولا نفيه حتى نفهم مراد المتكلم ، فان كان مراده حقا موافقا لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة من نفى واثبات قلنا به ، وان كان باطلا لما جاء به الكتاب والسنة من نفى او اثبات منعنا القول به ، ورأوا أن الطريقة التى جاء بها القرآن هى الطريقة الموافقة لصريح المعقول وصحيح المنقول وهى طريقة الانبياء والمرسلين .(١)

قال الامام محمد بن اسلم الطوسى : لم تعرج كلمة الى السماء اعظم ولا اخبث من ثلاث : أولهن : فرعون حيث قال :" انا ربكم الاعلى " ، والثانية : قول بشر المريسى : القرآن مخلوق ، والثالثة : قول ابن كرام : المعرفة ليست من الايمان وقال ابوبكر محمد بن عبدالله ، سمعت جدى العباس بن حمزة وابن خزيمة الحسين ابن الفضل البجلى يقولان : الكرامية كفار يستتابون والا ضربت اعناقهم .(٢)

٥- المرجئة :

وهم الذين قالوا : الايمان تصديق القلب ، وقول اللسان ، والاعمال ليست منه .(٣)

أصناف المرجئة : ثلاثة :

الأول : الذين يقولون : الايمان مجرد ما فى القلب أو عقد القلب ، قال ابن حزم : وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث فى دار الاسلام ومات على ذلك ، فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ، ولى لله عز وجل ، من أهل الجنة ، قال : وهذا قول ابى محرز جهم بن صفوان

---

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥ - ٣٧) .
(٢) لسان الميزان (٥ / ٣٥٥ - ٣٥٦) .
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ١٩٤ - ١٩٥) .

السمرقندى . وقول ابى الحسن على بن اسماعيل بن ابى بشر الاشعـــرى البصرى وأصحابهما .[١]

الثانى : من يقول : هو مجرد قول اللسان ، قال ابن تيمية : وهذا لا يعرف لاحد من قبل الكراميـة .[٢]

والثالث : تصديق القلب وقول اللسان ، قال ابن تيمية : وهذا هو المشهـور عن أهل الفقه والعبادة منهـم .[٣]

الايمان عند اهل السنـة :

يقول عبدالله بن احمد بن حنبل : سمعت ابى سئل عن الارجاء فقال : نحن نقول الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص : اذا زنا وشرب الخمر نقص ايمانه .[٤]

ذم المرجئـــة :

عن الاوزاعى ، قال : كان ابوسعيد الخدرى ، يقول : الشهادة بدعـــة والبراءة بدعة ، والارجاء بدعة[٥] . وكان يحى وقتادة يقولان : ليس من الاهواء شئ اخوف عندهم على الأمة من الارجاء[٦] ، وقال ابراهيم النخعى : المرجئـة أخوف عندى على أهل الاسلام من عدتهم من الازارقة[٧] . وعن سعيد بن جبير وذكر المرجئة ، فقال : اليهود[٨] ، وفى رواية : المرجئة مثل الصابئين[٩] .

مبدء الارجـــاء :

وعن قتادة ، قال : انما أحدث الارجاء بعد هزيمة ابن الأشعث .[١٠]

---

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل (٤ / ٢٠٤) .

(٢، ٣) مجموع الفتاوى (٧ / ١٩٤ - ١٩٥) .

(٤) السنـة / ٨١ . قال البغوى (شرح السنة ١ / ٢٨ - ٢٩) : اتفقت الصحابة ومن بعدهم من علماء السنة على ان الايمان قول وعمل ، وقالوا : ان الايمان قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

(٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) السنـة / ٨٤ - ٨٩) .

٦- الخـــوارج :

أجمعت الخوارج على اكفار على بن ابى طالب (رضوان الله عليه) ان حكـم واجمعوا على ان كل كبيرة كفر الا النجدات فانها لا تقول ذلك ، واجمعوا علـــى أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما الا النجدات اصحاب نجدة .(١)

الخوارج أول من فارق جماعة المسلمين :

يقول ابن تيمية : أول التفرق والابتداع فى الاسلام بعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين ، فلما اتفق على ومعاوية على انكرت الخوارج ، وقالوا : لا حكـم التحكيم الا لله ، وفارقوا جماعة المسلمين ، فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس ، واستحلوا دماءهم ، فقتلوا ابن خباب ، وقالوا : كلنا قتله ، فقاتلهم على .(٢)

أصل مذهبهـــم :

واصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه ، لكن خرجوا عن السنة والجماعـة يقول ابن تيمية : فهم لا يرون اتباع السنة التى يظنون أنها تخالف القرآن : كالرجم ونصاب السرقة ، وغير ذلك فضلوا . وجوزوا على النبى (صلى الله عليه وسلـم) أن يكون ظالما ، فلم ينفذوا لحكم النبى ولا لحكم الأئمة بعده ، بل قالوا : ان عثمان وعليا ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله : " ومن لم يحكم بما انزل اللـــه فأولئك هم الكافرون) ، فكفروا المسلمين بهذا وبغيره .(٣)

مبدؤهـــم :

وكان مبدؤهم بسبب حب الدنيا ، يقول ابن كثير : حين قسم رسول اللـــه

---

(١) مقالات الاسلاميين / ٨٦ .
(٢، ٣) مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(صلى الله عليه وسلم) غنائم حنين ، فكأنهم رأوا فى عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل فى القسمة ففاجئوه بهذه المقالة ، فقال قائلهم . وهو ذو الخويصرة بقر الله خاصرته - : اعدل فانك لم تعدل ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل ، أيأمننى على أهل الأرض ، ولا تأمنونى . . فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب ، وفى رواية خالد بن الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى قتله ، فقال : دعه ، فانه يخرج من ضئضئ هذا - أى من جنسه - قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم .

ثم كان ظهورهم أيام على بن ابى طالب وقتلهم بالنهروان ، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وارآء واهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ، ثم نبعت القدرية ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية ، وغير ذلك من البدع التى أخبر عنها الصادق المصدوق فى قوله : (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قالوا : ومن هى يا رسول الله ؟ . قال : ما كان على ما أنا عليه واصحابى)[1] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧) .

الفصل الثاني
أثر التفرق في توجيه التفسير

أولاً: أهم تفاسير القرن الخامس الهجري .

ثانيًا: اتجاه أهل السنة .

ثالثًا: اتجاهات الفرق .

أولا : أهم تفاسير القرن الخامس الهجـرى

وبناءً على ما تقدم ، فالتفاسير في القرن الخامس الهجرى ـ كالتفاسير فـى كل قرن ـ انقسمت الى قسمين :

أ ـ تفاسير أهل السنة .

ب ـ تفاسير الفرق .

أ ـ أهم تفاسير أهل السنة :ـ

١ ـ تفسير ابن مردويه . (١)

٢ ـ تفسير الكشف والبيان للثعلبى .(٢)

---

(١) ابن مردويه هو : أحمد بن موسى الاصبهانى ، الحافظ المجود العلامة، محدث اصبهان ، كان من فرسان الحديث ، فهما يقظا متقنا ، كثيـر الحديث جدا ، تفسيره للقرآن فى سبع مجلدات ، مات سنة عشـر وأربع مئة عن سبع وثمانين سنة . (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٠٨) .

(٢) الثعلبى هو : أحمد بن محمد بن ابراهيم ، الامام الحافظ العلامـة، شيخ التفسير ، كان من أوعية العلم ، كان صادقا موثقا ، بصيرا بالعربية ، طويل الباع فى الوعظ ، حدث عنه ابو الحسن الواحدى ، صنف العرائس فى قصص الانبياء ، من أهم كتبه : التفسير الكبير ، قال ابن تيمية : والثعلبى فى نفسه كان فيه خير ودين ، ولكنه كـان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير : من صحيح وضعيف وموضوع ، قال ابن كثير : وكان كثير الحديث ، واسع السماع ، ولهذا يوجد فـى كتبه من الغرائب شىء كثير .
(مقدمة فى اصول التفسير / ٧٦ ، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٠) .

٣ ـ تفسير ابن عبد البر . (١)

٤ ـ تفسير الهروى . (٢)

٥ ـ تفسير مكى بن ابى طالب . (٣)

بجانب تفسير المصنف ، لم يصلنا منها الا تفسير الكشف والبيان للثعلبي ، وتفسير مكي بن أبي طالب (٤).

ب ـ تفاسير الفرق :ـ

وأهم فرق القرن الخامس كما تقدم :

---

(١) ابن عبد البر هو : يوسف بن عبد الله القرطبى ، أحفظ أهل المغرب ، كان اماما ثقة ، دينا ، متقنا ، متبحرا ، صاحب سنة واتبـــــاع ، له : الاستذكار لمذهب علماء الامصار فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار ، والاستيعاب فى معرفة الاصحاب ، وجامع بيان العلم وفضله ، والبيان فى تأويلات القرآن . مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة .
(سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣) .

(٢) الهروى هو : محمد بن على بن محمد ، الامام القدوة ، الحافـــظ الكبير ، شيخ خراسان من ذرية صاحب النبى (صلى الله عليه وسلـم) ابى أيوب الأنصارى ، كان على حظ تام من معرفة العربية والتواريـــخ والانساب ، اماما كاملا فى التفسير ، منافرا للكلام وأهله جـــــدا ، صنف ذم الكلام ، يقول : اذا ذكرت التفسير فانما اذكره من مائة وسبعة تفاسير . مات سنة احدى وثمانين وأربعمائه .
(سير أعلام النبلاء : ١٨/٥٠٣ - ٥١٣) .

(٣) العلامة المقرئ ، كان من أوعيـة العلم مع الدين والسكينة والفهم ، كان خيرا متدينا ،مشهورا باجابة الدعوة . مات سنة سبع وثلاثيـــن وأربعمائة . (سير اعلام النبلاء : ١٧/٥٩١) .

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية فى علم معانى القرآن ، وأحكامه ، مجلل من فنون علوم . فى سبعين جزءاً . ويوجد من هذا التفسير أربعة مجلدات فى الخزانة العامة ، بالمكتبة الملكية بالرباط ، تكاد تشمل كل القرآن (انظر : مكى بن أبى طالب وتفسير القرآن / ١٠٩ - ١١٢) .

١ ـ الأشاعرة .

٢ ـ المعتزلة .

٣ ـ الرافضة .

٤ ـ الخوارج .

٥ ـ الكرامية .

٦ ـ المرجئة .

٧ ـ الباطنية .

أما الخوارج والكرامية فليست لها تفاسير مشهورة من القرن الخامس[1]، وأما المرجئة فدخلت عقائدها في بطون كتب تفسير الفرق الأخرى ، وخصوصا الأشاعرة ، وأما كلام الباطنية في تفسير القرآن ، فكفر وزندقة ، لذا سنكتفي ببيان أهم تفاسير الاشاعرة والمعتزلة والرافضة .

---

(١) يقول د . محمد حسين الذهبي (التفسير والمفسرون ١/ ٣١٤-٣١٥) : لم يكن للخوارج من الانتاج التفسيري مثل ما كان للمعتزلة أو الشيعة ، أو غيرهما من فرق المسلمين التي خلفت لنا الكثير من كتب التفسير ، وكل ما وصل الينا من تفسير الخوارج الأول لم يزد عن بعض أفهام لهم لبعض الآيات القرآنية تضمنها جدلهم ، واشتملت عليها مناظراتهم .
قلت : وأهم مرجع للتفسير عند الاباضية من الخوارج : هميان الزاد الى دار المعاد لمحمد بن يوسف اطفيش الجزائري المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، يقول الذهبي (التفسير والمفسرون ٢/ ٣٢٠) : غير انه لا يصور لنا حالة التفسير عندهم في عصورهم الأولى وذلك لقرب عهد مؤلفه ، وتأخره عن زمن كثير من علماء التفسير الذين وافقوه على مذهبه ، والذين خالفوه فيه .

أهم تفاسير الأشاعرة :-

وهى كثيرة لدولتها - فى جانب تفاسير المعتزلة والشيعة - ومنها :

١ - لطائف الاشارات للقشيرى .

٢ - تفسير الجوينى . (١)

٣ - تفسير ابن فورك . (٢)

٤ - تفسير الراغب . (٣)

٥ - تفسير عبد القاهر البغدادى . (٤)

٦ - تفاسيـــــــر الواحدى . (٥)

---

(١) كشف الظنون (١/٣٠٦) .

(٢) طبقات المفسرين للداودى (٢/١٧٩)

(٣) الراغب هو : الحسين بن المفضل الاصبهانى ، وتفسيره هو : يقين البيان فى تأويل القرآن ، كان من أذكياء المتكلمين ، له : المفـــردات (مطبوع) . مات على رأس المائة الخامسة .
(سير أعلام النبلاء : ١٨/١٢٠) .

(٤) عبد القاهر البغدادى هو : ابن طاهر بن محمد التميمى ، امام عظيم القدر ، كثير العلم فى الفقه والاصول والكلام ، روى عنه : البيهقـــى والقشيرى ، له : كتاب التفسير ، والفرق بين الفرق (مطبـــوع) . مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة . (طبقات المفسرين للـــــداودى ١/٣٣٢ - ٣٣٦) .

(٥) الواحدى هو : على بن أحمد النيسابورى ، امام علماء أهل التأويـــل ، لزم الثعلبى واكثر عنه ، كان طويل الباع فى العربية واللغات ، صنـــف التفاسير الثلاثة : البسيط (وهو ما تقدم) ، والوسيط (مفقـــود) ، والوجيز (بهامش تفسير مراح لبيد واغلبه مفردات) ، وله : اسبـــاب النزول (مطبوع) . مات سنة ثمان وستين وأربعمائة ، يقول ابن تيمية :

ولم يصلنا منها الا تفسير لطائف الاشارات للقشيرى ، والبسيط للواحدى [١] وأجزاء من تفسير الراغب الذى طبعت مقدمته . [٢] مع وجيز الواحدى الذى تقدم .

أهم تفاسير المعتزلة :-

١ - تفسير النكت والعيون للماوردى .

٢ - تفسير القاضى عبد الجبار . [٣]

== والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين ، ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدى صاحبه كان ابصر منه بالعربية ، لكن هو ابعد عن السلامة واتباع السلف .
(سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ ، ومقدمة فى أصول التفسير /٧٦) .

(١) مخطوط : تيمورية برقم / ٢٨٢ ، ودار الكتب / ٥٣ ، ومعهد المخطوطات / ٥٦ تفسير (معجم الدراسات القرآنية / ٢٢١) .

(٢) مخطوط : ولى الدين جار الله / ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، نسختان صورتان فى معهد المخطوطات برقم / ٩٨ ، ٩٩ ، أيا صوفيا برقم / ٢١٢ (معجم الدراسات القرآنية / ٢٥٨) .

(٣) القاضى عبد الجبار هو : ابن أحمد بن عبد الجبار الهمدانى ، قاضى القضاء ، شيخ المعتزلة ، تصانيفه كثرة أهمها : متشابه القرآن ، وتنزيه القرآن عن المطاعن ، ويقصد مطاعن أهل السنة الذين لا يرون رأيه فى القرآن ولا ينظرون اليه نظرته الاعتزالية ، تخرج به خلق فى السرآى المقوت ، حدث عنه : أبو يوسف عبد السلام القزوينى المفسر وسيأتى .
مات سنة خمس عشرة واربع مئة .
(سير اعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٤ ، وطبقات الداودى ١/ ٢٦٢) .

٣ ـ تفسير القزوينـى . (١)

وصلنا منهـا تفسير النكت والعيون للماوردى .

أهم تفاسير الرافضة :ـ

١ ـ تفسير الطوسى . (٢)

٢ ـ تفسير السيد الشريف الرضى الموسوى . (٣)

لم يصل منهـما الا تفسـير الطوسـى .

---

(١) القزوينى هو : عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار ، شيخ المعتزلة عند قمعها بالسنة فى عهد السلاجقة ، كان معتزليا واعيا ، يقـول : لم يبق من ينصر المذهب غيرى ، وكان قد أسن ، وكان لا يسالم أحدا من السلف ، ويقول لهم : اخرجوا تدخل الملائكة ، صنف التفسير (حدائق ذات بهجة) فى ثلاثمائة مجلد ونيف ، وقال : من قرأه على وهبت له النسخة ، فلم يقرأه أحد . مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .
(سير اعلام النبلاء ١٨/ ٦١٧ ـ ٦٢٠) .

(٢) طبقات الشافعية للسبكى (١/ ٥١) .

(٣) مقدمة مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى (١/ ٨) ، واضاف : تفسير امام الحرمين وهو ادعاء ، وتفسير عبد الملك الثعالبى وهو غير معروف .

ثانيا :

اتجاه أهل السنـــــة

السنة عند أهل السنة تعنى : آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

والسنـــة : تفسر القرآن وهى دلائل القرآن . (٢)

وأصول السنة : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله (صلى اللـــه عليه وسلم) والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهى ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال . (٣)

لذا فأحسن طرق التفسير عند أهل السنة :

١ - تفسير القرآن بالقرآن ، يقول ابن تيمية : فما أجمل فى مكان فانـــه قد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر . (٤)

٢ - تفسير القرآن بالسنة ، يقول ابن تيمية : فانها شارحة للقرآن ، وموضحة له ، بل قد قال الامام ابو عبد الله (محمد بن ادريس الشافعى) : كل ما حكم به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فهو مما فهمه من القرآن ، قال الله تعالى : -(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين النـــاس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما)- (النســـــاء : ١٠٥) ،

---

(١) ، (٢) ، (٣) اعتقاد أحمد بن حنبل (شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ٢/١٥٦) .

(٤) مقدمة فى أصول التفسير /٩٣ - ٩٤ .

وقال تعالى : -(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)- (النحل : ٤٤) ، وقال تعالى : -(وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)-(النحل :٦٤) ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه) يعنى السنة ، والسنة أيضا تنزل عليه بالوحى ، كما ينزل القرآن ، لا انها تتلى كما يتلى . (١)

والقرآن اذا عرف تفسيره من جهة النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يحتج فى ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم . (٢)

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة :-

يقول ابن تيمية : فانهم أدرى بذلك ، لما شاهدوه من القرآن ، والاحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم : كالأئمة الاربعة الخلفاء الراشدين ، والائمة المهديين وعبد الله بن مسعود ... ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس(٣) ، فالصحابة اخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه ، كما أخذوا عنه السنة .

---

(١) مقدمة فى اصول التفسير / ٩٣ - ٩٤ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٧) .

(٣) مقدمة في أصول التفسير / ٩٥ - ٩٦ .

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين :-

يقول ابن تيمية : اذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الائمة فى ذلك الى أقوال التابعين : كمجاهد بن جبر... وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن ابى رباح ، والحسن البصرى ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وابى العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك ابن مزاحم ، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ، ومن بعدهم . (١)

هل أقوال الصحابة فى التفسير حجة يجب المصير اليها ؟

يقول ابن القيم : لا ريب ان أقوالهم فى التفسير أصوب من أقوال من بعدهم ، وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن تفسيرهم فى حكم المرفوع ، قال أبو عبد الله الحاكم فى مستدركه : وتفسير الصحابى عندنا فى حكم المرفوع . ومراده : انه فى حكمه فى الاستدلال به والاحتجاج ... أو بمعنى : ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين لهم معانى القرآن وفسره لهم ، وكما روى الصحابة (رضى الله عنهم) عنه السنة تارة بلفظها وتارة بمعناها ، روى الصحابة عنه التفسير تارة باللفظ وتارة بالمعنى .

فان قيل : فنحن نجد لبعضهم أقوالا فى التفسير تخالف الأحاديث

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير / ١٠٢ - ١٠٤ .

المرفوعة الصحاح ، وهذا كثير ... قيل : الكلام فى تفسيره كالكلام فى فتواه سواء ، وصورة المسألة هنا كصورتها هناك سواء بسواء ، وصورتها أن لا يكون فى المسألة نص يخالفه ، ويقول فى الآية قولا لا يخالفه فيه أحد من الصحابة (سواء علم لاشتهاره أو لم يعلم)... وهو نظير ما روى عن بعضهم من الفتاوى التى تخالف النص ، وهم مختلفون فيها سواء .

فان قيل : لو كان قوله حجة بنفسه لما أخطأ ، ولكان معصوما لتقوم الحجة بقوله ، فان كان يفتى بالصواب تارة وبغيره أخرى ، وكذلك تفسيره ، فمن أين لكم أن هذه الفتوى المعينة والتفسير المعين من قسم الصواب . ؟ اذ صورة المسألة انه لم يقم على المسألة دليل غير قوله ، وقوله ينقسم ، فما الدليل على أن هذا القول المعين من أحد القسمين ولا بد ؟ . قيل : الأدلة المتقدمة تدل على انحصار الصواب فى قوله فى الصورة المفروضة ، وهو أن من الممتنع أن يقولوا فى كتاب الله الخطأ المحض ويمسك الباقون عن الصواب فلا يتكلمون به ، وهذه الصورة المذكورة وأمثالها قد تكلم فيها غيرهم بالصواب ، والمحظور انما هو خلو عصرهم عن ناطق بالصواب ، واشتماله على ناطق بغيره فقط ، فهذا هو المحال ، وبهذا خرج الجواب عن قولكم : لو كان قول الواحد منهم حجة لما جاز عليه الخطأ ، فان قوله لم يكن بمجرده حجة ، بل بما انضاف اليه مما تقدم ذكره من القرائن . (١)

---

(١) اعلام الموقعين (٤/١٥٣ - ١٥٦) .

حجية أقوال التابعين : تفاسير الأئمة مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعي ، على الرغم من الاختلاف في حجيته ، يقول ابن القيم : فان قيل : فبعض ماذكرتم من الأدلة يقتضي أن التابعي اذا قال قولا ولم يخالفه صحابي ولا تابعي ان يكون قوله حجة . ؟

فالجواب : ان التابعين انتشروا انتشارا لا ينضبط لكثرتهم ، وانتشرت المسائل في عصرهم ، فلا يكاد يغلب على الظن عدم المخالف لما أفتى به الواحد منهم ، فان فرض ذلك فقد اختلف السلف في ذلك ، فمنهم من يقول : يجب اتباع التابعي فيما افتى به ولم يخالفه فيه صحابي ولا تابعي ، وهذا قول بعض الحنابلة والشافعية ، وقد صرح الشافعي في موضع بانه قاله تقليدا لعطاء ، وهذا كمال علمه وفقهه (رضي الله عنه) . . . على ان في الاحتجاج بتفسير التابعي عن الامام أحمد روايتين ، ومن تأمل كتب الأئمة ومن بعدهم ، وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعي . (١)

من

قال ابن تيمية : فمن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك ـــــــــ بل مبتدعا ، وان كان مجتهدا مغفورا له خطؤه . (٢)

قلت : وكان هذا من جملة التفسير بالرأي الباطل .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مقدمة في أصول التفسير / ٩١ .

التفسير بالرأى :-

والتفسير بالرأى حرام ، يقول ابن تيمية : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام[1] ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[2] . وبه الى الترمذى قال : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنى حبان بن هلال ، قال : حدثنا سهيل أخو حزم القطعى ، قال : حدثنا أبو عمران الجونى ، عن جندب ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل بن أبى حزم .

وهكذا روى عن بعض أهل العلم من أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم أنهم شددوا فى أن يفسر القرآن بغير علم ، وأما الذى روى عن

---

(١) وهو قول الطبرى (جامع البيان ١/ ٧٧ - ٧٩ شاكر) ، وبه : البغوى (معالم التنزيل ١/ ٣٤ - ٣٥) ، وابن كثير ١/ ١٥) وغيرهم .

(٢) جامع الترمذى (٥/ ١٩٩) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

مجاهد وقتادة ، وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن ، فليس الظن بهم أنهم قالوا فى القرآن أو فسروه بغير علم ، أو من قبل أنفسهم ، وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا : أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم من غير علم ، فمن قال فى القرآن برأيه فقد تكلف مالا علم له به ، وسلك غير ما أمر به[1] ، فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل ، فهو فى النار وان وافق حكمه الصواب فى نفس الأمر ، لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ ، والله أعلم .

وهكذا سمى الله تعالى القذفة كاذبين ، فقال : -(فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون)- (النور : ١٣) ، فالقاذف كاذب ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الأمر ، لانه أخبر بما لا يحل له الأخبار به ، وتكلف ما لا علم له به .[2]

أنواع الرأى الباطل :-

خمسة ، هى كما يقول ابن القيم :

١ - الرأى المخالف للنص ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فساده وبطلانه ، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء ، وان وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد .

---

(١) جامع الترمذى (٥/ ٢٠٠) .
(٢) مقدمة فى أصول التفسير /١٠٥ - ١٠٨ .

٢ ـ الكلام فى الدين بالخرص والظن مع التفريط ، والتقصير فى معرفة النصوص وفهمها واستنباط الاحكام منها .

٣ ـ رأى أهل البدع والضلال : من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم المتضمن تعطيل اسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة.

٤ ـ الرأى الذى احدثت به البدع ، وغيرت به السنن ، وعم به البلاء وتربى عليه الصغير ، وهرم فيه الكبير .

٥ ـ القول فى أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون ، والاشتغال بحفظ المعضلات والاغلوطات ، ورد الفروع بعضها على بعض قياسا ، دون ردها على أصولها والنظر فى عللها واعتبارها .[1]

هذا ما اصطلح على تسميته بالرأى ، ويقع على كل الفرق المخالفة لاهل السنة ـ كما تقدم ـ وان اطلق على أنواع أخر من الرأى المحمود .

فى أنواع من الرأى المحمود :ـ[2]

١ ـ رأى افقه الأمة ، وأبر الأمة قلوبا ، وأعمقهم وأقلهم تكلفا ، وأصحهم قصودا ، وأكملهم فطرة ، وأتمهم ادراكا ، وأصفاهم أذهانا... يقول الشافعى (رحمه الله) : وآراؤهم لنا أحمد ، وأولى بنا من رأينا عند انفسنا ، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا ، صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله

---

(١) اعلام الموقعين (١/٦٧ ـ ٦٩) .

(٢) المرجع السابق (١/٨٢ ـ ٨٥) .

(صلى الله عليه وسلم) فيه سنة الى قولهم ان اجتمعوا ، أو قول بعضهم ان تفرقوا ، وهكذا نقول ، ولم نخرج عن أقاويلهم ، وان قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله .

٢ ـ الرأى الذى يفسر النصوص ، ويبين وجه الدلالة منها ، ويقررها ويوضح محاسنها ، ويسهل طريق الاستنباط منها (أو الفهم) . يقول عبد الله بن المبارك : ليكن الذى تعتمد عليه الأثر ، وخذ من الرأى بما يفسر لك الحديث ، وهذا هو الفهم الذى يختص سبحانه به من يشاء من عباده . . وهو الرأى المستند الى استدلال واستنباط من النص وحده أو من نص آخر معه .

٣ ـ ما تواطأت عليه الامة ، وتلقاه خلفهم عن سلفهم .

٤ ـ ان يكون بعد طلب علم الواقعة من القرآن ، فان لم يجدها فى القرآن ففى السنة ، فان لم يجدها فى السنة فيما قضى به الخلفاء الراشدون أو اثنان منهم أو واحد ، فان لم يجده فيما قاله واحد من الصحابة (رضى الله عنهم) ، فان لم يجده اجتهد رأيه ونظر الى اقرب ذلك من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأقضيه أصحابه .

يقول الواحدى : من شرف هذا العلم وعزته فى نفسه أنه لا يجوز القول فيه بالعقل والتدبر والرأى والتفكر دون السماع ، والأخذ عن من شاهدوا التنزيل

بالرواية والنقل عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ومن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا فى هذا الأمر حتى جعلوا المصيب برأيه مخطئاً (١) .

وعلى هذا النهج سار كافة المفسرين من السلف ، يقول الطبرى عند قوله تعالى : ـ(أكاد أخفيها)ـ (طه : ١٥) بعد عرضه لأقوال الصحابة والتابعين : وقد قيل فى ذلك أقوال غير ما قلنا ، وانما اخترنا هذا القول مع غيره من الأقوال لموافقة اقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر . (٢)

أهم شروط المفسر :ـ(٣)

١ ـ صحة الاعتقاد ، يقول ابو طالب الطبرى : فان من كان مفحوصا عليه فى دينه ، لا يؤتمن على الدنيا ، فكيف على الدين ، ثم لا يؤتمن من الدين على الاخبار عن عالم ، فكيف يؤتمن فى الاخبار عن أسرار الله

---

(١) الواحدى ومنهجه فى التفسير ص ١٥٨ .

(٢) جامع البيان (١٦/١٥١) .

(٣) قال السيوطى : وقال بعضهم : اختلف الناس فى تفسير القرآن ، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن ، وان كان عالما أديبا متسعا فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والاخبار والآثار ، وليس له الا ان ينتهى الى ما روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك .

تعالى ، ولانه لا يؤمن ان كان متهما بالالحاد أن يبغى الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه ، كأ ب الباطنية وغلاة الرافضة ، وان كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته ، كأب القدرية فان أحدهم يصنف الكتاب فى التفسير ومقصوده منه الايضاع خلال المساكين ، ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى . (١)

٢ - أن يكون من أهل العلم بالحديث ، يقول ابن تيمية : العلم اما نقل مصدق ، واما استدلال محقق ، والمنقول اما عن المعصوم ، واما عن غير المعصوم .

= ومنهم من قال : يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها ، وهى خمسة عشر علما : أحدها : اللغة .. الثانى : النحو .. الثالث : التصريف .. الرابع : الاشتقاق .. الخامس والسادس والسابع : المعانى والبيان والبديع .. الثامن : علم القراءات التاسع : أصول الدين .. العاشر : أصول الفقه .. الحادى عشر : أسباب النزول والقصص .. الثانى عشر : الناسخ والمنسوخ .. الثالث عشر : الفقه .. الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم الخامس عشر : علم الموهبة . (انظر : الاتقان ٤/٢١٣ - ٢١٥) .

(١) الاتقان (٤/٢٠٠) قال السيوطى (الاتقان ٤/٢١٦) ،قال فى البرهان : أعلم انه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى ، ولا يظهر له أسراره ،وفى قلبه بدعة أو كبر أوهوى أوحب الدنيا ، أو وهو مصر على ذنب أوغير متحقق بالايمان أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أوراجع الى معقول ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض . قال السيوطى : وفى هذا المعنى قوله تعالى :-(سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق)- (الاعراف : ١٤٦) ، قال سفيان بن عيينه : يقول : أنزع عنهم فهم القرآن .

والناس في هذا الباب طرفان : طرف من أهل الكلام ونحوهم ممن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله ، لا يميز بين الصحيح والضعيف فيشك في صحة الأحاديث ، أو في القطع بها مع كونها معلومة مقطوعا بها عند أهل العلم . وطرف ممن يدعي اتباع الحديث والعمل به ، كلما وجد لفظا في حديث قد رواه ثقة ، أو رأى حديثا باسناد ظاهره الصحة ، يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته ، حتى اذا عارض الصحيح المعروف أخذ يتكلف له التأويلات الباردة ، أو يجعله دليلا له في مسائل العلم ، مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون ان مثل هذا غلط . (١)

اعتراض باطل :-

فالاعتراض على تفاسير أهل السنة ، وصد الناس عنها بحجة ما قد يقع فيها من موضوعات اعتراض باطل فهو يقع في جميع التفاسير ، وهو ان وقع من بعض تفاسير أهل السنة فهو قليل ، ثم انه لا يروج على أهل العلم منهم، وهي صناعتهم (٢) ، يقول ابن تيمية : وكما أن على الحديث ادلة يعلم بها

---

(١) مقدمة في أصول التفسير / ٥٥ ، ٧٤ . الموضوع -

(٢) ففي سورة الاسراء / ٥ روى الطبري حديثا موضوعا - وجعلها الفقير له رواية ولكن أئمة السنة بينوه وتعقبوه ولم يتركوه ، يقول ابن كثير : وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا اسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا ، وهو

انه صدق ، وقد يقطع بذلك ، فعليه أدلة يعلم بها انه كذب ، ويقطع بذلك ، مثل ما يقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل ، مثل حديث يوم عاشوراء ، وأمثاله مما فيه أن من صلى ركعتين كان له كأجر كذا وكذا نبيا . وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة ، فانه موضوع باتفاق أهل العلم .. والموضوعات في كتب التفسير كثيرة : منها الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة ، وحديث علي الطويل في تصدقه بخاتمه في الصلاة ، فانه موضوع باتفاق أهل العلم . (١)

الاسرائيليات في كتب التفسير :-

وقد يعترض أيضا - على تفاسير السلف - بوجود الاسرائيليات فيها ، وهذا الاعتراض باطل أيضا ، فتكذيب الاخبار الاسرائيلية لا يجوز الا بحجة ، وروايتها جائزة ، والحديث صريح في ذلك ، والمأخذ في الاكثار منها ، فعامتها مما لا فائدة فيها ، والكلام فيه من فضول الكلام ،

== حديث موضوع لا محالة ، لا يستريب في ذلك من عنده ادنى معرفة بالحديث . والعجب كل العجب ، كيف راج عليه مع امامته وجلالة قدره ، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة ابو الحجاج المزي رحمه الله بانه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

(١) مقدمة في أصول التفسير / ٧٤ - ٧٨ .

يقول ابن تيمية فى المنقول عن غير المعصوم[1] : وهذا القسم الثانى من المنقول وهو ما لا طريق الى الجزم بالصدق منه ، عامته مما لا فائدة فيه ، والكلام فيه من فضول الكلام ، وأما ما يحتاج المسلمون الى معرفته فان الله تعالى نصب على الحق فيه دليلا :

فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه : اختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف ، وفى البعض الذى ضرب به موسى من البقرة ، وفى مقدار سفينة نوح وما كان خشبها ، وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ، ونحو ذلك ، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل ، فما كان فى هذا منقولا نقلا صحيحا عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، كاسم صاحب موسى انه الخضر ، فهذا معلوم ، وما لم يكن كذلك ، بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب ، كالمنقول عن كعب ، ووهب ، ومحمد بن اسحاق وغيرهم ، ممن يأخذ عن أهل الكتاب ، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه الا بحجة ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى (صلى الله عليه وسلم) انه قال : " اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه وأما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه ."[2]

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير / ٥٦ - ٥٧ .

(٢) مسند أحمد (٤/١٣٦) ، وهو فى البخارى (فتح البارى ٨/ ١٧٠) عن ابى هريرة قال : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل .

رواية الصحابة للاسرائيليات :-

يقول ابن كثير في تعليقه على سند السدى في تفسيره : فهذا الاسناد الى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدى ، ويقع فيه اسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ، ليس من كلام الصحابة ، أو انهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة . والله اعلم . (١)

التفسير بمطلق اللغة :-

نقل عن الامام أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر ، فقال : ما يعجبني . قال السيوطي : وقيل الكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها الى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا الا في الشعر ونحوه ، ويكون المتبادر خلافها .(٢)

قلت : أو في تقديمه للغة على أقوال الصحابة والتابعين كما تقدم .

هذا هو اتجاه أهل السنة في تفسير القرآن ، يعيشون حياتهم للحديث والأثر ، ينقبون عنهما ، ويقدمونهما ، ولا يرضون عنهما بديلا . ولو طالعنا أي تفسير من تفاسير السلف لوجدناها كلها متقاربة : مبسوطة كانت أو

---

(١) تفسير القرآن العظيم (البقرة : ٣٠) .

(٢) الاتقان (٤/٢٠٩) .

وسيطة أو وجيزة ، فاذا كانت مبسوطة فالأحاديث والاثار فيهـــا بالاسانيد كالطبرى والثعلبى ، وان كانت وسيطة فنفس الأحاديث والاثار معزوة دون سند كتفسير مصنفنا ، وان كانت وجيزة فنفس الاحاديـث والاثار دون عزو .

لذا كان الاختلاف فى التفسير بين أهل السنة قليلا ، يقول ابـن تيمية : الخلاف بين السلف فى التفسير قليل ، وخلافهم فى الأحكـام أكثر من خلافهم فى التفسير ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .(١)

مصادر الثعلبى :-

والنظرة العجلى الى مصادر الثعلبى فى التفسير تؤكد هذا المعنى ، فمعظم مصادره ، ان لم يكن كلها باستثناء بعض كتب الغريب والمعانـى والمشكل والقراءات التى لابد منها لطالب التفسير ، نجدها من تفاسير الاثـر مثـل :

١ - تفسير ابن عباس .

٢ - تفسير مجاهد .

٣ - تفسير الضحاك .

٤ - تفسير ابن عيينه .

٥ - تفسير زيد بن أسلم .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير / ٣٨ .

٦ ـ تفسير الحسن البصرى .

٧ ـ تفسير قتادة .

٨ ـ تفسير ابى العالية .

٩ ـ تفسير القرظـــى .

١٠ ـ تفسير الثورى .

فى أكثر من ثلاثين تفسيرا كلها بالأثر ، فى الوقت الذى نجد أسانيده الى أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يملأبها أكثر صفحات الكتاب ، ولوضوح هذا الأمر الذى نكتفى فيه بما تقدم اشتهر أهل السنة بين الناس : بأهل الحديث ، ولقبوا بالاثرية ، وتقـــدم قول الطبرى : اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به عنهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر .

ثالثا :

اتجاهـــات الفـــــــرق

واتجاهات الفرق جميعا تخرج من مخالفتهم لأهل السنة عن نهجهم المتقدم : من تقديم الحديث والأثر ، تارة بتقديم العقل على النقـل ، وتارة بعدم حجية خبر الواحد وبغير ذلك من الكلام الذى تقدم عـن الاشاعرة متابعين للمعتزلة التى فتحت الباب واسعا لعقائد الرافضـة ، يقول ابن تيمية : ثم انه بسبب تطرق هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضـة الامامية ، ثم الفلاسفة ، ثم القرامطة ، وغيرهم ، فيما هو أبلغ من ذلك وتفاقم الأمر فى الفلاسفة والقرامطة والرافضة ، فانهم فسروا القـــرآن بأنواع لا يقضى منها العالم عجبه . (١)

اذا تقدم عدم اشتهار تفاسير خاصة بالخوارج والكرامية فى القرن الخامس ، واذا تقدم دخول الارجاء فى بطون الفرق وخاصة الاشاعرة ، واذا تقدم ان كلام الباطنية فى تفسير القرآن كفر وزندقة(٢) ، تبيـــن

---

(١) مقدمة فى اصول التفسير /٨٦ .

(٢) يقول ابن تيميـة (مجموع الفتاوى ١٣/٢٣٦ - ٢٣٨) : وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم ، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة مـــن الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم .. فانهم يدعون ان القرآن والاسـلام باطنا يخالف الظاهر ، فيقولون : الصلاة المأمور بها ليست هـــذه الصلاة ، أو هذه الصلاة انما يؤمر بها العامة ، وأما الخاصة فالصلاة فى حقهم : معرفة اسرارنا ، والصيام : كتمان اسرارنا ، والحـج :

أن أهم الفرق التى تحتاج الى دراسة خاصة : الأشاعرة ، والمعتزلة ، والرافضة .

ومن تكرار القول الاستفاضة فى ذكر اتجاهات المعتزلة والرافضة ، بعد اطالة النفس فيها من الدكتور / محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون (١) ، ومن تكرار القول تفصيل كل أباطيلهم (٢)، لذا سأكتفى بنموذج من نماذج التحريف لكل من الفرقتين ، مع اضافة نموذج ثالث من نماذج التحريف عند الاشاعرة ، بعد أن أفضت القول عنهم فيما تقدم .

وقد طبع من تفاسير الأشاعرة فى القرن الخامس : لطائف الاشارات للقشيرى ، ومن تفاسير المعتزلة : النكت والعيون للماوردى ، ومن تفاسير الشيعة : التبيان للطوسى ، اجتزئ من لطائف الاشارات نموذجا من التحريف فى الصفات ، ومن النكت والعيون نموذجا من الاعتساف للقدرية ، ومن التبيان نموذجا من الادعاء للامامة .

== والحج : السفر الي زيارة شيوخنا المقدسين ، ويقولون : ان الجنة للخاصة هى التمتع فى الدنيا باللذات ، والنار هى التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها ، يقول : وهؤلاء الباطنية قد يفسرون : -(وكل شىء أحصيناه فى امام مبين)- انه على ، ويفسرون قوله تعالى -(تبت يدا ابى لهب وتب)- بانهما ابو بكر وعمر ، وقوله :-(فقاتلوا أئمة الكفر)- انهم طلحة والزبير ، -(والشجرة الملعونة فى القرآن)- بانها بنوا أمية .

(١) ، (٢) انظر التفسير والمفسرون (١ / ٣٦٨ - ٤٨٢ ، ٢ / ٤٦ - ٢٣٤) .

تأويل الصفات ، ولطائف الاشارات للقشيرى :

والقشيرى كان عديم النظر فى السلوك والتذكير ، لطيف العبارة ، طيب الأخلاق ، غواصا على المعانى ، يقول أبو بكر الخطيب :

كتبنا عنه ، وكان ثقة ، وكان حسن الوعظ ، مليح الاشارة ، يعرف الأصول على مذهب الأشعرى ، والفروع على مذهب الشافعى (١) .

وقد تفقه القشيرى على أبى بكر محمد بن أبى بكر الطوسى ، والاستاذ الاسفراييني وحج مع الامام محمد الجوينى ، والحافظ أبى بكر البيهقى ، ونظر فى تصانيف ابن الباقلانى ، لذا كان يعرف الأصول على مذهب الأشعرى ، وان كان غير مشارك فى أساليب الكلام على المسائل .

وقد صحب أبا على الدقاق وتزوج بابنته ، وتردد على السلمى وعاشره ، لذا كانت له كتب كثيرة فى الزهد والرقاق حتى صار شيخ خراسان فى التصوف ، ولزوم المجاهدات وتخرج به المريدون (٢) .

ولطائف الاشارات ، وان كان على طريقة الصوفية ، فقد وقع فيما يقع فيه الأشاعرة من الكلام والتأويل ، وهو وان لم يكن كالجوينى لاشتغاله بالمجاهدات ، الا انه وقع فى كثير مما وقع فيه ، وخصوصا فى تأويل الصفات الخبرية ، وقد تقدم ان مذهب الأشعرى تغلظ من القرن الخامس ، وخصوصا على يد الجوينى ، وقد أفضنا فى بيان ذلك فيما تقدم ، ونكتفى الآن بتقديم نموذج من نماذج موافقته للجوينى ومخالفته للامام أبى الحسن الأشعرى وأهل السنة .

---

١) و(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٢٧) ، وطبقات المفسرين للداودى (١ / ٣٤٤ – ٣٥٢) .

فعند قوله تعالى : "وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى ، وانى لأظنه من الكاذبين " (القصص : ٣٨) ، يستعمل اصطلاح : (الجهة) على طريقة المتكلمين فينفى الفوقية ، ويأول صعود شيء اليه فيقول :

ادعى الانفراد بالالهية فزاد فى ضلاله على عبدة الأصنام الذين جعلوا أصنامهم شركاء ، ثم قال لهامان : "ابن لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى ". وكان هذا فى زيادة ضلاله حيث توهم أن المعبود فى جهة فوق ، وأنه يمكن الوصول اليه ، ولعمرى لو كان فى جهة لأمكن تقدير الوصول اليه وتجويزه[١] .

وعند قوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه "(فاطر : ١٠) قال : الكلم الطيب هو الصادر عن عقيدة طيبة ، يعنى الشهادتين ، عن اخلاص ، وأراد به صعود قبول ، لأن حقيقة الصعود فى اللغة بمعنى الخروج ، ولا يجوز فى صفة الكلام . " والعمل الصالح يرفعه " أى : يقبله[٢] .

وبعد نفيه للفوقية يؤول الآيات الصريحة فى ذلك ، فيقول عند قوله تعالى : "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا ان الله هو الغفور الرحيم "(الشورى : ٥) أى : تكاد السموات تتشقق من عظمة من فوقهن وهو الله تعالى ، والفوقية هنا فوقية رتبة ، وذلك من شدة هيبتهن من الله[٣] .

ويقول عند قوله تعالى : "وهو القاهر فوق عباده "(الأنعام : ١٨) علت رتبه الأحدية صفة البشرية[٤] ، وفى موضع آخر[٥] يقول : فوق عباده بالقهر والغلبة ، وفوقهم

---

١) لطائف الاشارات (٥/٦٨ — ٦٩) .
٢) لطائف الاشارات (٥/١٩٦) .
٣) لطائف الاشارات (٥/٣٤٢) .
٤) لطائف الاشارات (٢/١٥٩) .
٥) عند قوله تعالى : "وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه "(الأنعام : ٦٥) .

بالقدرة على ان يعذبهم من فوقهم بانزال العقوبة عليهم والسخطة[١] .

وما دامت فوقية الله تعالى قد نفيت خوفا من الجهة كما تقدم، فلا استواء ولا عرش ، يقول عند قوله تعالى "ثم استوى على العرش" (الرعد : ٢) أى : احتوى على ملكه احتواء قدرة وتدبير ، والعرش من الملك حيث يقال : اندك عرش فلان اذا زال ملكه[٢] .

ويقول عند قوله تعالى : "ثم استوى على العرش" (يونس : ٣) أى : توحد بجلال الكبرياء بوصف الملكوت[٣] .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وقد تقدم الرد المفصل على الجوينى[٤] ، ونكتفى هنا بالرد على نفيه للجهة :

تقدم ان لفظ : الجسم والعرض والجوهر ، ومنها الجهة التى نفاها القشيرى ، من الألفاظ المبتدعة المجملة التى ليس لها أصل فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها فى حق الله تعالى ، لا نفيا ولا اثباتا ، يقول ابن تيمية : وحينئذ فاطلاق القول بنفيها أو اثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب ، ولا عليه دليل شرعى ، بل الاطلاق من الطرفين مما ابتدعه أهل الكلام الخائضون فى ذلك ، فاذا تكلمنا معهم بالبحث العقلى استفصلناهم عما اراده بهذه الألفاظ : فان قال المثبت : المراد بكونه متحيزا

---

١) لطائف الاشارات (٢/ ١٧٥) .
٢) لطائف الاشارات (٣/ ٢١٦) .
٣) لطائف الاشارات (٣/ ٧٨) .
٤) انظر : ٨٨-٩٠ .

وجسما وفى جهة : انه فى جوف المخلوقات ، أو أن المخلوقات تحوزه ، أو أنه يماثلها ، أو يجوز عليه ما يجوز عليها ، ونحو ذلك ، فهذا باطل ، ومباينته للعالم لا يقتضى أن يكون على هذا التقدير متحيزا ولا فى جهة ولا جسما . وان قال النافى لذلك : ان ما كان فوق العالم فهو فى جهة ، وهو متحيز ، وهو جسم وذلك محال ، قيل له : نفى انه مباين للعالم باطل ، ولزوم الباطل باطل ، فاذا كان نفى مسميات هذه الألفاظ ملزوما لنفى المباينة كان نفيها باطلا ، والأدلة المذكورة على نفى مسماها بهذا الاعتبار باطلة[1] . فى كثير نكتفى منه بما تقدم .

القدرية الاعتزالية ، والنكت والعيون للماوردى :

والماوردى ، قاضى القضاة ، البصرى الشافعى ، صاحب التصانيف، حدث عنه الخطيب ووثقه[2] .

اتهام الماوردى بالاعتزال :

يقول ابن الصلاح : هذا الماوردى (عفا الله عنه) يتهم بالاعتزال ، وقد كنت لا اتحقق ذلك عليه ، وأتأول له واعتذر عنه ، فى كونه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير ، تفسير أهل السنة ، وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، وأقول : لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق أو باطل ، ولهذا يورد من أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الايراد ! ، حتى وجدته يختار فى بعض المواضع قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة ، ومن ذلك فى الاعراف الى أن الله لا يشاء عبادة الأوثان ، وقال فى قوله تعالى : "وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن "(الأنعام : ١١٢) وجهان فى "جعلنا"

---

١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٥ ــ ٣٠٦) .

٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٤) . والماوردى هو : على بن محمد بن حبيب . مات سنة خمسين وأربعمائة .

أحدهما : معناه : حكمنا بأنهم أعداء ، الثانى : تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها[١] .

اعتزال الماوردى :

واعتزال الماوردى ليس فى موافقتهم لجميع أصولهم ، ولكن لقوله بالقدر ، وتقدم اطلاق القدرية على المعتزلة ، يقول ابن الصلاح : ان الماوردى ليس معتزليا مطلقا ! ، لأنه لا يوافق المعتزلة فى جميع أصولهم مثل : خلق القرآن ، ويوافقهم فى القدر ، قال : وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما[٢] .

خطورة هذا التفسير :

وخطورة هذا التفسير فى دخول أقوال القدرية الاعتزالية ، ضمن أقوال أهل السنة ، على أنها منها دون رد ، فتروج على غير أصحاب التحقيق والعلم ، يقول ابن الصلاح :

وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدسيسا على وجه لا يفطن له غير أهل العلم والتحقيق ، مع أنه تأليف رجل لا يتظاهر الى المعتزلة ، بل يجتهد فى كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه موافق[٣] .

نماذج أخرى من تفسيره فى ذلك :

فعند قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم " (البقرة : ٧) ،

---

١) و٢) و٣) طبقات الشافعية للسبكى (٥ / ٧٠) .

قال : الختم: الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، ثم ساق أربعة تأويلات : أولها عن أهل السنة مبتورا ، وثلاثة منها باطلة ، يقول :

أحدها : وهو قول مجاهد أن القلب مثل الكف ، فاذا أذنب العبد ذنبا ضم منه كالأصبع، فاذا أذنب ذنبا ثانيا ضم منه كالاصبع الثانية حتى ينضم جميعه ، ثم يطبع عليه بطابع .

والثاني : أنها سمة تكون علامة فيهم ، تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين .

والثالث : انه اخبار من الله تعالى عن كفرهم واعراضهم عن سماع ما دعوا اليه من الحق ، تشبيها بما قد انسد وختم عليه فلا يدخله خير .

والرابع : أنها شهادة من الله تعالى على قلوبهم بأنها لا تعى الذكر ولا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغى اليه[1] .

وقد جاء معنى قول مجاهد مرفوعا[2] ، وأوضحه الطبرى بقوله : فأخبر(صلى الله عليه وسلم) أن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلفتها ، واذا أغلفتها اتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع ، فلا يكون للايمان اليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم "[3] .

---

١) النكت والعيون (١/٦٧) .

٢) عن أبى هريرة، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكته سوداء فى قلبه ، فان تاب ونزع واستغفر ، صقلت قلبه ، فان زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الران الذى قال الله جل ثناؤه : " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون " (جامع البيان ١/١١٢) ، قال الترمذى (جامع الترمذى ٤/٢١٠) : هذا حديث حسن صحيح .

٣) جامع البيان (١/١١٣) .

وعلى الرغم أن هذه الآية من أوضح الأدلة على حتمية القضاء الا أنه ساق ثلاثة تأويلات باطلة ما قيلت الا بسبب سوء المعتقد الذى سبب الاعراض عن تفسير القرآن بالقرآن ، والآيات كثيرة لبيان حتمية القضاء ، أو تفسير القرآن بالحديث وقد تقدم ولم يذكره ، أو تفسير القرآن بالأثر ، وقد تقدم منه عن مجاهد الا أنه أحاطه بثلاثة تأويلات لا تعرف الا عن القدرية ، يقول الطبرى : وهذه الآية من أوضح الأدلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله ، لأن الله (جل ثناؤه) أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسمعهم ، ثم لم يسقط التكليف عنهم ، ولم يضع عن أحد منهم فرائضه ، ولم يعذره فى شىء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه ، بل أخبر أن لجميعهم منه عذابا عظيما ، على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك بأنهم لا يؤمنون . (١)

وعند قوله تعالى : ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)) (السجدة : ١٣) يدس قولين من أقوال المعتزلة ، فيقول (٢) : فيه ثلاثة أوجه : أحدها : هدايتها للايمان ، الثاني : للجنة ، الثالث : هدايتها فى الرجوع الى الدنيا لأنهم سألوا الرجعة ليؤمنوا ، قلت : والقول الأول هو المعتمد عن أهل السنة ، والآخران مبتدعان ، ما وضعا الا لصرف القارىء عن القول الأول المتضمن عموم مشيئة الله ، يقول ابن تيمية : ثم كثر خوض الناس في القدر فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق ، لكن ينكرون عموم مشيئة الله ، وعموم خلقه وقدرته ، ويظنون انه لا معنى لمشيئته الا أمره ، فما شاءه فقد أمر به ، وما لم يشأه لم يأمر به ، فلزمهم

---

(١) جامع البيان (١/ ١١٣) .

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٩٥) .

أن يقولوا : انه قد يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ،وانكروا أن يكون الله تعالى خالقا لأفعال العباد أو قادرا عليها ، أو يخص بعض عباده من النعم بما يقتضى ايمانهم به وطاعتهم له[١] . قال قتادة : لو شاء الله لهدى الناس جميعا ، لو شاء الله لانزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين[٢] ، يقول الطبرى : ولو شئنا يا محمد لاتينا هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ((هداها)) يعنى : رشدها وتوفيقها للايمان بالله .[٣]

ويتكرر هذا فى تفسيره ،فعند قوله تعالى : ((لقد حق القول على أكثرهم)) (يس : ٧) يقول[٤] : فيه وجهان : أحدهما : معناه لقد وجب العذاب على أكثرهم ، قاله السدى ، الثاني : لقد سبق علم الله فى اكثرهم . قلت : والأول هو الصحيح ، والثاني يقصد به انكار خلق أفعال العباد ، يقول ابن تيمية : وأما جمهور القدرية ، فهم يقرون بالعلم المتقدم والكتاب المتقدم ، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد ، وارادة الكائنات ، وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون : ليس للعبد قدرة ولا ارادة حقيقية ، ولا هو فاعل حقيقة ، وكل هؤلاء مبتدعة ضلال .[٥]

واذا دست الاعتزاليات فى كتب التفسير ، فلا بد من ترك أو تحريف أقوال أهل السنة ،ولا بد من ظهور أقوال مبتدعة باطلة ، يقول فى توجيه القول السابق : وفى هذا القول الذى حق عليهم وجهان :

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠ - ٤٥١) .
(٢) و(٣) جامع البيان (٢١/ ٩٨) .
(٤) النكت والعيون (٣/ ٣٨٣) .
(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٨ - ٢٨٩) .

أحدهما : انه الوعيد الذى أوجبه الله تعالى عليهم من العذاب .

الثاني : انه الاخبار عنهم بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .[١]

فقد حرف قول أهل السنة الصحيح بتوجيهه الى الوعيد..، ودس القول الثاني للاعتزال .

يقول الطبرى فى تفسيره للآية : لقد وجب العقاب على أكثرهم لأن الله قد حتم عليهم فى أم الكتاب انهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسوله [٢] ، فى كثير يحتاج الى دراسة خاصة .

---

(١) النكت والعيون (٣/٣٨٣) .

(٢) جامع البيان (٢٢/١٥٠) .

الامامة ،والتبيان للطوسى :

الطوسى هو محمد بن الحسن بن على أبو جعفر الطوسى ،فقيه الشيعة ، له مصنفات كثيرة فى الكلام على مذهب الامامية ، كان يظهر انتقاص السلف، يقول ابن النجار : احرقت كتبه عدة بمحضر من الناس فى رحبه جامع النصر، واستتر هو خوفا على نفسه بسبب مايظهر عنه من انتقاص السلف ، مات بمشهد على ،قيل : سنة ستين واربعمائة (١)

يقول أغا بزرك الطهرانى : فمن سبر تاريخ الامامية ومعاجمهم ،وأمعن النظر فى مؤلفات الشيخ العلمية المتنوعة، علم أنه أكبر علماء الدين ،وشيخ كافة مجتهدى المسلمين ،والقدوة لجميع المؤسسين ،وفى الطليعة من فقهاء الاثنى عشرية (٢) .

كتابه فى التفسير

وكتابه فى التفسير من أعظم كتب التفسير عند الامامية، وعليه اعتمد الطبرسى فى تفسيره (٣) من بعده ،يقول الطبرسى : فانه الكتاب الذى يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق ،قد تضمن من المعانى الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ،ولا بتنميقها دون تحقيقها ، وهو القدوة استضئ بأنواره ،وأطأ مواقع آثاره . (٤)

وهو فى تفسيره كما تقدم ــ لا ينفك يشرح مذهب الشيعة الامامية ،ويدافع عن عقيدتهم ،ويكثر النقل عن أئمتهم ،ويرد على من يخالفهم ،يقول د . مساعد

---

(١) لسان الميزان (٥/ ١٣٥)

٢) مقدمة التبيان / ق .

٣) مجمع البيان فى تفسير القرآن .

٤) مجمع البيان (١/ ١٠) .

مسلم آل جعفر : ويظهر ذلك جليا فى تأييده لارائهم فى المسائل الخلافيـــة بينهم وبين غيرهم : كمسألة الامامة ، والتقية ، والقول بالرجعة ، وخروج المهدى ، وجواز نكاح المتعة ، ومسح الرجلين فى الوضوء ، وعدم جواز نكاح الكتابيات ، وغير ذلـك [١] .

الامامة عند الرافضة :

والامامة عند الرافضة ليست قضية مصلحية باختيار العامة وينتصب الامـام بنصبهم ، بل هى قضية أصولية ، يقول الشهرستانى : وهى ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم السلام اغفاله واهماله ، ولا تفويضه الى العامة وارساله ، ويجمعهـم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائـر والصغائر ، والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا ، الا فى حال التقية [٢] .

وهم كباقى الفرق يعتقدون مذهبا يخالف الحق الذى عليه الوسط الذيـن لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها ، وعمدوا الى القرآن فتأولوه علـى آرائهم:تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالـف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه [٣] .

مثال من الادعاء للامامة :

والآيات التى ادعوها للامامة كثيرة : لا عقل لهم فيها ولا نقل ، وانما هـو تحريف وادعاء ، استقصاها كبيرهم ابن المطهر الحلى فى كتابه : منهاج الكرامـة واستوعب الرد عليها ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعـة القدرية ، فنكتفى فى هذا المختصر بالرد على أول أدلتهم للامامة .

يقول الطوسى ـ وهو قول الرافضة من قبله ومن بعده ـ عند قوله تعالـى : " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون "

١) مناهج المفسرين / ٢٤٢ .
٢) الملل والنحـل / ١٤٦ .
٣) أنظر : مقدمة فى أصول التفسير / ٨٢ .

(المائدة : ٥٥) : اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فيه :

فروى أبو بكر الرازى فى كتاب أحكام القرآن على ما حكاه المغربى عنه والطبرى والرمانى ومجاهد والسدى : انها نزلت فى على حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو قول أبى جعفر وأبى عبد الله ، وجميع علماء أهل البيت . وقال الحسن والجبائى : انها نزلت فى جميع المؤمنين ، وقال قوم : نزلت فى عبادة بن الصامت فى تبرئه من يهود بنى قينقاع وحلفهم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين ، وقال الكلبى : نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم ، فنزلت الآية[1] . ثم قال :

واعلم ان هذه الآية من الأدلة الواضحة على امامة أمير المؤمنين على بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) ، بلا فصل[2] .

ثم يدلل للامامة ، فيقول : ووجه الدلالة فيها أنه قد ثبت أن الولى فى الآية بمعنى الأولى والأحق ، وثبت أيضا أن المعنى بقوله : "والذين آمنوا" أمير المؤمنين ، فاذا ثبت هذان الأصلان ، دل على امامته ، لأن كل من قال ان معنى الولى فى الآية ما ذكرنا ، قال : انها خاصة فيه ، ومن قال باختصاصها به ، قال : المراد بها الامامة[3] .

ثم يدلل على أن المخصوص بها على (رضى الله عنه) ، فيقول : فالذى يدل على أن أمير المؤمنين هو المخصوص بها أشياء :

منها : أن كل من قال : ان معنى الولى فى الآية معنى الأحق ، قال : انه هو المخصوص بها ، ومن خالف فى اختصاص الآية يجعل الآية عامة فى المؤمنين ، وذلك قد أبطلناه .

ومنها : أن الطائفتين المختلفتين : الشيعة وأصحاب الحديث رووا أن

---

(١) و (٢) و (٣) التبيان (٣/٥٥٨ — ٥٥٩) .

الآية نزلت فيه خاصة .

ومنها : أن الله وصف الذين آمنوا بصفات ليست حاصلة الا فيه ، لأنه قال : " والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " فبين أن المعنى بالآية هو الذى آتى الزكاة فى حال الركوع ، وأجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى حال الركوع غير أمير المؤمنين ، وليس لاحد أن يقول : ان قوله " وهم راكعون " ليس هو حالا لـ " يؤتون الزكاة " ، بل المراد به أن فى صفتهم ايتاء الزكاة لأن ذلك خلاف لأهل العربية [1] .

ثم بعد أن فرغ من الادعاء لثبوت الامامة ، من الآية الكريمة ، استشكل ثبوت الامامة له فى الحال ، وما يتبعها من أمر ونهى مع وجود النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : من أصحابنا من قال : انه كان اماما فى الحال ، ولكن لم يأمر لوجود النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وكان وجوده مانعا من تصرفه ، فلما مضى النبى (صلى الله عليه وسلم) قام بما كان له . ومنهم من قال : ـ وهو الذى نعتمده ـ : ان الآية دلت على فرض طاعته واستحقاقه للامامه ، وهذا كان حاصلا له ، وانما التصرف فموقوف على ما بعد الوفاة ، كما يثبت استحقاق الأمر لولى العهد فى حياة الامام الذى قبله ، وان لم يجز له التصرف فى حياته ، وكذلك يثبت استحقاق الوصية للوصى ، وان منع من التصرف وجود الموصى ، وكذلك القول فى الأئمة [2] .

مناقشة الدعوى :

أولا : قوله : وأجمعت الأمة على أنه لم يؤت الزكاة فى حال الركوع غير أمير المؤمنين ، قلت : هذا يترتب على أنهم أجمعوا أنها نزلت فى على ، وهذا

---

١) التبيان (٣ / ٥٦١) .

٢) التبيان (٣ / ٥٦٣) .

من أبطل الباطل ، يقول ابن تيمية فى رده على الحلى : قوله قد أجمعوا أنها نزلت فى على من أعظم الدعاوى الكاذبة ، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل فى على بخصوصه ؟ وأن عليا لم يتصدق بخاتمه فى الصلاة ، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية فى ذلك من الكذب الموضوع (١) .

ثانيا : قوله : انه قد ثبت أن الولى فى الآية بمعنى الأولى والأحق ، جهل ، فليس فى شئ من هذه النصوص أن من كان وليا للآخر كان أميرا عليه دون غيره ، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس ، أو أحق به ، يقول ابن تيمية : ان الفرق بين الولاية بالفتح والولاية بالكسر معروف ، فالولاية ضد العداوة ، وهى المذكورة فى هذه النصوص ، ليست هى الولاية بالكسر التى هى الامارة ، وهؤلاء الجهال يجعلون الولى هو الأمير ، ولم يفرقوا بين الولاية والولاية ، والأمير يسمى الوالى ، ولكن قد يقال : هو ولى الأمر ، كما يقال وليت أمركم ، ويقال : أولوا الأمر ، وأما اطلاق القول بالمولى واراده الولى فهذا لا يعرف ، بل يقال فى الولى المولى ، ولا يقال : الوالى (٢) .

يتبين مما سبق ان استدلاله للامامة من الآية باطل لسقوط مقدمتيه الباطلتين من أن الولى فى الآية بمعنى الأولى والأحق ، ومن أن المعنى بقوله : " والذين آمنوا " أمير المؤمنين ، فالآية عامة فى كل المؤمنين المتصفين بهذه الصفات يقول ابن تيمية : لا تختص بواحد بعينه لا أبى بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا غيرهم لكن هؤلاء أحق الأمة بالدخول فيها (٣) .

ثالثا : قوله : ان الطائفتين المختلفتين : الشيعة وأصحاب الحديث رووا أن الآية نزلت فيه خاصة ، وهذا كذب وادعاء يعارضه ما تقدم عنه ، بقوله :

---

١) منهاج السنة النبوية (٤ / ٤ ط مكتبة الرياض الحديثة) .

٢) منهاج السنة النبوية (٤ / ٨ ط مكتبة الرياض الحديثة) .

٣) منهاج السنة النبوية (٤ / ٦ ط مكتبة الرياض الحديثة) .

وقال قوم : نزلت فى عبادة الصامت ، وهو فى جامع البيان [١] ، وقوله : وقال الحسن : انها نزلت فى جميع المؤمنين ، وهو الصحيح .

فلا وزن عنده اطلاقا للاثار ، بل تذكر للابطال والاعراض ، ولا مكانة للحديث ، فالموضوع يقدم على الصحيح ، يقول ابن تيمية :

فان الأدلة اما نقلية واما عقلية ، والقوم من أضل الناس فى المنقول والمعقول . . وهم من أكذب الناس فى النقليات ، ومن أجهل الناس فى العقليات ، يصدقون من المنقول ما يعلم العلماء بالاضطرار أنه من الأباطيل ، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار ، المتواتر أعظم تواتر فى الأمة جيلا بعد جيل ، ولا يميزون فى نقله العلم ورواه الأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل ، وبين العدل الحافظ المعروف بالعلم والآثار .

وعمدتهم فى نفس الأمر على التقليد ، وان ظنوا اقامته بالبرهانيات، فتارة يتبعون المعتزلة والقدرية ، وتارة يتبعون المجسمة والجبرية ، وهم من أجهل هذه الطوائف بالنظريات ، ولهذه كانوا عند عامة أهل العلم والدين ، من أجهل الطوائف الداخلين فى المسلمين [٢] .

---

١) جامع البيان (٦ / ٢٨٨) عن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، مشى عبادة بن الصامت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكان أحد بنى عوف من الخزرج ، فخلعهم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم ، وقال : أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم ، ففيه نزلت : " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون " لقول عبادة : أتولى الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قينقاع وولايتهم .

٢) منهاج السنة النبوية (١ / ٥ تحقيق : د محمد رشاد سالم، ط: دار العروبة) .

فهرس المقدمـــــة

الموضـــــوع	الصفحـة
شكـر	أ
المقدمـة	ب ــ ح
الباب الأول : دراسة عن المؤلف والكتاب والمخطوطة .	١ ــ ٧٣
الفصل الأول : دراسة عن المؤلف .	٢ ــ ٩
أولا : اسمه ، وكنيته ، ونسبه ، ومولده .	٣ ــ ٤
ثانيا : مكانتـه العلمية .	٤ ــ ٥
ثالثا : مصنفاتـــه .	٦ ــ ٩
رابعا : وفاتـــــه .	٩
الفصل الثانى : دراسة عن الكتاب .	١٠ــ٦٣
أولا : اسم الكتاب .	١١
ثانيا : توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف .	١١ــ١٣
ثالثا : محاسن التفسير .	١٤ــ٢٢
أ ــ أسلوب الاستفهام .	١٤ــ١٧
ب ــ الجانب الزهدى أو الوعظى .	١٧ــ٢٢
رابعا : المآخذ على التفسير .	٢٢ــ٤٣
أ ــ استكثاره من الرواية بالمعنى .	٢٣ــ٢٦
ب ــ قلة عزو الأقوال ، وكثرة الوهم ، والعزو لما هو أدنى .	٢٦ــ٣٠
١ ــ قلة عزو الأقوال .	٢٦
٢ ــ كثرة الوهم عند العزو .	٢٦ــ٢٨
٣ ــ العزو لما هو أدنى .	٢٩ــ٣٠
جـ ــ الاستطرادات .	٣٠ــ٣٧
١ ــ استطراداته فى القراءات القرآنية .	٣٠ــ٣٢
أ ــ اكتفاؤه بتعديد القراءات .	٣١

الموضـــــوع	الصفحة
ب ــ اثارته للشاذ من القراءات على حساب المتواترة .	٣١
جـ ــ الرواية بالمعنى ، والوهم فى العزو .	٣٢
٢ ــ استطراداته الشعرية :	٣٢ــ٣٧
أ ــ استشهاده بغير المعروف ، وأحيانا بالموضوع .	٣٣
ب ــ استشهاده بالمحتمل .	٣٤
جـ ــ استشهاده لاستطراداته .	٣٤ــ٣٥
د ــ عدم تخريجه للأقوال ، وعدم حكمه على الأحاديث مع وجود الضعف	٣٥ــ٣٧
هـ ــ ضعف الأسلوب .	٣٧ــ٣٩
الاعتذار .	٣٩ــ٤٣
إملاء التفسير دون كتابته ، وأبرز الأسباب التى ترجح ذلك :	
أ ــ عرض أسانيده الخاصة .	٤٠
ب ــ التكرار والاستدراك .	٤٠ــ٤١
جـ ــ عدم التقديم للتفسير .	٤١
د ــ اعتماده على الكتب المجملة أو المختصرة .	٤١
هـ ــ عرضه للقراءات .	٤١ــ٤٢
و ــ صيغة السماع .	٤٢ــ٤٣
خامسا : القيمة العلمية للتفسير .	٤٤ــ٥٧
أ ــ اختياراته فى المصادر المختلفة ، وخاصة من تنوير المقباس .	٤٤ــ٤٥
ب ــ رجوع المتأخرين إليه ، وتداول ما نقلوه .	٥٠ــ٥٧
تفسير البغوى ما هو الا تفسير السمعانى .	٥٢ــ٥٥

الموضـــــوع	الصفحة
تفسير السمعانى أصل من أصول ابن الجوزى فى تفسيره •	٥٥ــ٥٧
سادسا : الاصطلاحات الخاصة بالمصنف •	٥٨ــ٦٣
أ ــ الخبر ، والأثر •	٥٨ــ٥٩
ب ــ أهل المعانى •	٥٩ــ٦١
جـ ــ الأسانيد الخاصة بالمصنف •	٦١ــ٦٣
الفصـــل الثالث (دراسة عن المخطوطة) •	٦٤ــ٧٣
أولا : وصف المخطوطة •	٦٥ــ٧٠
نسخة المكتبة الأزهرية •	٦٥
نسخة دار الكتب المصرية •	٦٦
أهم ملامح النسخ الخطية •	٦٦ــ٦٧
انتساخ مخطوطة الدار من المخطوطة الأزهرية •	٦٨ــ٦٩
وقوع التصحيف والتحريف فى نسخة الدار •	٦٩ــ٧٠
ثانيـــا : الحاجة الى مخطوطة أخرى •	٧٠ــ٧٢
ثالثا : عملى فى التحقيق والتـــعليق :	٧٢ــ٧٣
أ ــ عملى فى التحقيق •	٧٢ــ٧٣
ب ــ عملى فى التعليق •	٧٣
الباب الثانى : دراسة عن اتجاهات التفسير فى القرن الخامس الهجـــرى (عصر المؤلف) •	٧٤ــ ١٥١
الفصل الأول : أثر الحالة السياسية فى توجيه الفرق •	٧٥ــ١٠٩
أولا : الحالة السياسية •	٧٦ــ٨٢

الموضـــــوع	الصفحة
أ ــ عصر بنى بويــه •	٧٧ــ٧٩
١ــ قيام دولة الاعتزال •	٧٨
٢ــ نشر الدعوة الباطنية والتمكين لها •	٧٨ــ٧٩
ب ــ العصر السلجوقى •	٨٢
دولة الأشاعرة •	٨٢
ثانيا : الفرق فى القرن الخامس •	٨٣ــ١٠٩
أ ــ اشتهار مذهب الأشاعرة ، وانتشاره فى أمصار الإسلام •	٨٣ــ٨٤
ب ــ دخول الكلام المذموم الى الناس باسم أهل السنة •	٨٤ــ٨٨
الكلام وكتاب الارشاد للجوينى •	٨٨ــ٩٥
١ــ وجوب النظر •	٩٠ــ٩١
٢ــ تقديم العقل على النقل عند التعارض •	٩١ــ٩٢
٣ــ عدم افادة أخبار الآحاد للعلم •	٩٣ــ٩٤
سبب ذم السلف للكلام وأهله •	٩٦ــ٩٧
سبب انتشار مذهب الأشاعرة •	٩٧ــ٩٨
تعريف موجز ببعض الفرق •	٩٨ــ١٠٩
١ــ الشيعة •	٩٨ــ١٠٠
٢ــ المعتزلة •	١٠٠ــ١٠١
ألقاب المعتزلة •	١٠٠ــ١٠١
الحكم على الجهمية •	١٠١
٣ ــ الباطنيـة •	١٠٢ــ١٠٤

الموضـــوع	الصفحـــة
الباعث على الباطنية •	١٠٢
الرافضة باب الباطنية •	١٠٢ـ١٠٣
مقصدهم •	١٠٣
ألقابهـــم •	١٠٣
مكانة البا طنية بين فرق الكفر •	١٠٤
٤ ـ الكراميـة •	١٠٥ـ١٠٦
٥ـ المرجئـــة •	١٠٦ـ١٠٧
أصناف المرجئة •	١٠٦ـ١٠٧
الايمان عند أهل السنة •	
ذم المرجئـــة	
مبـــدء الارجـــاء •	
٦ـ الخوارج •	١٠٨ـ١٠٩
الخوارج أول من فارق جماعة المسلمين •	١٠٨
أصـــل مذهبهـــم •	١٠٨
مبدؤهـــم •	١٠٨ـ١٠٩
الفصـــل الثانـــى : أثر التفرق فى توجيه التفسير •	١١٠
أولا : أهم تفاسير القرن الخامس الهجرى •	١١١ـ١١٦
أ ـ أهم تفاسير أهل السنة •	١١١ـ١١٢
ب ـ تفاسير الفرق •	١١٢ـ١١٦
أهم تفاسير الأشاعرة •	١١٤ـ١١٥
أهم تفاسير المعتزلة •	١١٥ـ١١٦

الموضـــوع	الصفحـة
أهم تفاسير الرافضـة •	١١٦
ثانيـا : اتجاه أهل السنة •	١١٧ـ١٣٣
أحسن طرق التفسير •	١١٧ـ١١٩
هل أقوال الصحابة فى التفسير حجة يجب المصير إليها •	١١٩ـ١٢٠
حجية أقوال التابعين •	١٢١
التفسير بالرأى •	١٢٢ـ١٢٣
أنواع الرأى الباطل •	١٢٣ـ١٢٤
فى أنواع من الرأى المحمود •	١٢٤ـ١٢٦
أهم شروط المفسر •	١٢٦ـ١٢٨
اعتـراض باطـل •	١٢٨ـ١٢٩
الاسرائيليات فى كتب التفسير •	١٢٩ـ١٣٠
رواية الصحابة للاسرائيليات •	١٣١
التفسير بمطلـق اللغـة •	١٣١ـ١٣٢
مصادر الثعلبى •	١٣٢ـ١٣٣
ثالثا : اتجاهات الفرق •	١٣٤
تأويل الصفات ، ولطائف الاشارات للقشيرى •	١٣٦ـ١٣٩
القدرية الاعتزالية ، والنكت والعيون للماوردى •	١٣٩ـ١٤٤
اتهام الماوردى بالاعتزال •	١٣٩ـ١٤٠
اعتـزال الماوردى •	١٤٠

الموضـــــوع	الصفحـة
خطورة هذا التفسير •	١٤٠
نماذج أخرى من تفسيره فى ذلـك •	١٤٠ــ١٤٤
الامامـة ، والتبيـــان للطوسى •	١٤٥ــ ١٥١